التفسير الموجز
ودروس من القرآن

(جزء تبارك)

الفقير إلى ربه
محمد بن شامي شيبة

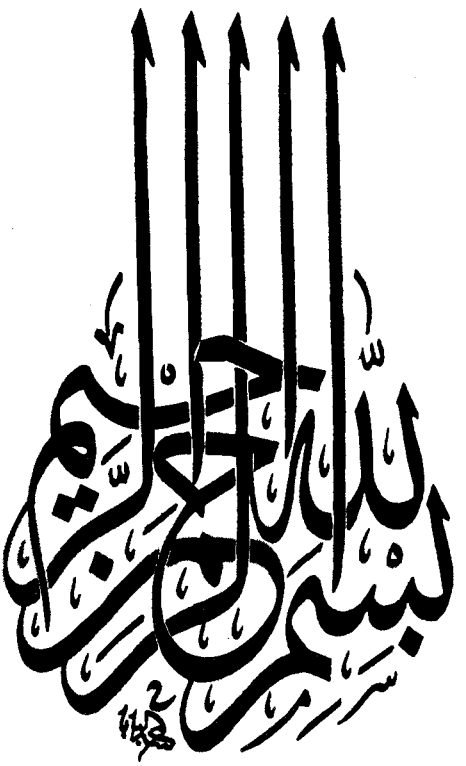
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله وحده والصلاة والسلام علىمن لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن هذا (**التفسير الموجز دروس من القرآن**) هو كتابنا الذي أخرجناه مختصراً سهلاً ميسرًا انطلاقًا من قوله ﷺ : «**يسروا ولا تعسرو**»، وهذا الكتاب يمتاز بما يلي :

١ - أنه تفسير مختصر يفهمه كل من يقرأه .

٢ - أنه مزود بدروس من القرآن، وهذه الدروس مدعمة بالأدلة من سنة النبي ﷺ.

٣ - أننا لم نخرج في هذا التفسير إلا حديثاً صحيحاً أو حسناً حتى يرتاح القارىء من البحث .

٤ - أن هذا التفسير يصلح للقراءة على الناس في المساجد.

٥ - إن هذا التفسير يصلح أن يأخذ منه الإمام مقطعاً ويخطب به الجمعة.

٦ - أن في هذا التفسير دروساً كثيرة تخاطب الدعاة والنساء والرجال وكثيراً من فئات المجتمع .

أسأل الله الكريم أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم، والله الموفق والحمدلله أولاً وأخيراً.

وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

رئيس مجلس إدارة المكتب التعاوني بالملحاء والمخلاف

والقاضي بمحكمة بيش سابقاً

الشيخ / محمد شامي شيبة

تفسير سورة تبارك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾

التفسير :

تعالى الله وتنزّه عن الشريك والولد والصاحبة، وكثُر خيره، وعمّت بركته جميع الخلائق .

هو الذي بيده ملك الدنيا والآخرة، المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه، ولا يُسأل عما يفعل ؛ لقهره وحكمته وعدله، وهو على كل شيء قدير . فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

الذي خلق الموت والحياة، فأمات من شاء وكتب الموت على كل أحد، وأحيا من العدم ؛ ليختبركم أيّكم أخلص عملاً وأصوبه .

وهو العزيز الذي لا يُغالب، عزّ كلّ شيءٍ فقهره . واسع المغفرة لمن تاب إليه واستغفره .

الذي خلق سبع سماوات، طبقة فوق طبقة لا تماسّ بينهما، وقد جمّلها للناظرين ما ترى فيها من اختلاف ولا تباين ولا نقص ولا عيب ولا خلل، فأَعِدْ البصرَ وتأمل هل ترى في السماء من شقوق أو تصدع أو خروق ؟ إنك لن تجد ذلك، وإنما تجد سقفاً محفوظاً جميلاً محُكماً . ثم أعِدْ النظر إلى السماء مرتين (يعني أو أكثر) يرجع إليك البصرُ ذليلاً صاغراً عن أن يرى عيباً أو خللاً، فهو كليل مُتعب .

ولقد جمّلنا السماء القريبة بكواكب مضيئة منيرة، وجعلناها شُهباً يُرمى بها الشياطين مُسترِقو السمع ، فتحرقهم في الدنيا، وهيأنا للشياطين في الآخرة عذاب نار جهنم، وساء المرجِع والعودة لهم إلى جهنم .

إذا أُلقي الكفار في نار جهنم سمعوا لها صوتاً مزعجاً، وهي تغلي بهم غلياناً قد بلغ نهايته وشدة حرارته، تكاد نار جهنم تتقطع من شدة غيظها وغضبها على الكفار، كلما أُلقي فيها طائفة من الكفار، سألهم الملائكة الموكّلون بالنار وعذابها سؤال توبيخ : ألم يجئكم في الدنيا رسولٌ يُحذركم ويُخوّفكم عذاب الله ويأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له وينهاكم عن الكفر بالله ؟ قال الكفار لخزنة جهنم : بلى قد جاءنا رسولٌ من الله فأنذَرَنا وخوَّفَنا عذاب جهنم وأمرنا بعبادة الله وحده دون سواه، ونهانا عن الكفر بالله، فكذّبنا الرسولَ الذي جاءنا وقلنا ما نزّل الله وحياً على أحد، وقلنا للرسل : ما أنتم إلا في ضلال عن الطريق المستقيم وعن المنهج الصواب .

وقال الكفار مُقرِّين موبّخين أنفسهم : لو كنا نسمع سماع استجابة وقبول أو كانت لنا عقول نفكر بها ونفقه فقهاً سليماً فيما ينفع وما يضر، ما كنا على ما كنا عليه من الكفر الذي استوجبنا به أن نكون من أهل نار جهنم الموقدة .

فاعترف الكفار بكفرهم الذي استحقوا به عذاب نار جهنم، فبُعداً وهلاكاً لأصحاب نار جهنم الموقدة .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم : إنما خلقنا الله ﷻ وأعطانا هذه الحياة ثم يُميتنا بعدها للابتلاء والاختبار، فمن الذي ينجح ومن الذي لا ينجح في هذا الاختبار ؟

وإنما النجاح بتحقيق بعض أمور :

(أ) أن يكون عمل العبد خالصاً لوجه الله ﷻ ولا شرك فيه، كما قال ﷺ في حديث أبي أمامة ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ** » رواه النسائي .

وكما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة:٥] .

(ب) وأن يكون صواباً على طريقة النبي ﷺ (المتابعة)، كما قال ﷺ : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** » رواه الشيخان .

إذا وقع خلل في الإخلاص وقع العبد في الشرك، وإذا وقع خلل في المتابعة وقع في البدعة .

٢ - أخي المسلم : لنحرص على قراءة هذه السورة ((الملك)) فقد جاء في الحديث :

(أ) أنها شفعت لرجل حتى غُفر له، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** » رواه احمد والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة (صحيح) .

(ب) وأنها أخرجت رجلاً من النار وأدخلته الجنة، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **إن سورة من كتاب الله عز وجل ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته من النار وأدخلته الجنة** » رواه الحاكم (حسن) .

(ج) إنها المانعة، لقوله ﷺ عن سورة تبارك : « **هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** » رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنه .

(د) اقرأها قبل النوم ؛ لأنه في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ : « **كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الم تَنْزِيلُ وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** » رواه أحمد والترمذي والنسائي (صحيح) .

٣ - أخي المسلم : اخرج وانظر إلى السماء في الليل ؛ لترى الجمال والبهاء، تنظر إلى السماء وما فيها من المصابيح التي قد أنارت ذلك السقف المرفوع المحفوظ بلا أعمدة ولا شقوق فيه ولا تصدع، بل بناء محكم متماسك . سبحان من رفع هذا السقف وزيّنه وجمّله وكمّله ! وجعله آيةً على قدرته العظيمة .

وهكذا أخي تعودُ بنفسٍ قد امتلأت إيماناً وازدادت هدى، بل وإن تيسر لك

أن تنظر إلى السماء بالليل ثم تقوم فتصلي كما فعل النبي ﷺ .

أخي افعل ولو مرةً واحدة، بأن تنظر إلى السماء وتصلي من الليل . والله الموفق .

٤ - أيها العبد : أنا وأنت نقرأ في هذه السورة ما للكفار يوم القيامة من العذاب (نار جهنم) وهي تشهق وتفور وتكاد تتقطّع من الغضب . إذن قد فهمنا أن جهنم تُبغض من يعصي الله ﷻ . وإن كانت المعاصي تتفاوت، فالكفر هو أعظم الذنوب ؛ ولذلك فالكفار هم أشد عذاباً، أما غيرهم من أصحاب الكبائر الذين ماتوا عليها ولم يتوبوا ومعهم أصل الإيمان ولم يشركوا بالله شيئا، فإنّ منهم من تأكله النار إلا مواضع السجود، وقد حرّم الله ﷻ على النار أن تأكل مواضع السجود، وقد دلّ على هذا سنة النبي ﷺ .

لكن إذا وعينا هذا فعلينا أن نهرب من نار جهنم ! وأن نتجنّب المعاصي ؛ لأن أصحابها مُعرّضون للوعيد، وأن نكثر من التوبة والاستغفار، وسؤال الله ﷻ الجنة والنجاة من النار، وقد كان أكثر دعوة يدعو بها ﷺ : « **اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** » رواه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه .

٥ - أيها المسلم : لنستفد من أسماعنا وعقولنا، فنفكر في نجاتنا من عذاب الله ﷻ، ولنستمع إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ سماع فهم وقبول وعمل وتطبيق، وليسأل أحدنا نفسه عندما يسمع موعظةً أو نصيحة : هل يُطبّق أم لا ؟

فما أكثر الذين أضاعوا أسماعهم وعقولهم ! .

واستمع الكفار يوم القيامة وهم يقولون :﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ وقد قال ﷺ في حديث رجلٍ من الصحابة : (**لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) رواه أبو داود وأحمد (صحيح) .

* * *

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾

التفسير :

إن الذين يخافون الله ﷻ فيما بينهم وبينه إذا كانوا غائبين عن الناس، فينكفُّون عن المعاصي ويطيعون الله، حيث لا يراهم أحد إلا الله ﷻ، لهم مغفرة بأن يكفر الله ذنوبهم، ولهم أجرٌ كبير بالثواب الجزيل الذي لا يقدر قدره إلا الله . وأسروا قولكم في ضمائركم أو اجهروا بقولكم علناً، فذلك يستوي عند الله في أنه يعلمه ؛ لأنه يعلم ما تُكِنُّه الصدور

﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾.

ألا يعلم الله الخالق أقوال خلقه وأفعالهم، وكل ما يتعلق بهم من جليل أو حقير في السموات والأرض ؟ بلى ! إنه يعلمهم فلا يخفى عليه شيء من خلقه، وهو العالم بما دقَّ وخفيَ وغاب، الخبير بعباده فلا يخفى عليه منهم شيء .

والله الذي جعل لكم الأرض مذلّلة مُسخّرة، فِراشاً ممهّدةً، ساكنةً لا تميد ولا تضطرب، وهيّأ فيها من المنافع والزروع والمياه وغير ذلك، فسافروا في أقطارها وتردّدوا في نواحيها وأقاليمها في أنواع المكاسب والتجارات، وكلوا من رزق الله الذي أباحه لكم، ولا تغترّوا بالدنيا فإنما هي بُلغة إلى الآخرة، والمرجع إلى الله يوم القيامة وسيجازيكم على أعمالكم .

هل أمنتم -أيها العباد من الإنس والجن- اللهَ الذي في العُلوّ، أن يعذبكم بذنوبكم من تحتكم بأن يخسف بكم الأرض ؛ فإذا هي تتزلزل وتضطرب، فيهلككم بذلك ؟ ولكن الله يحلم ويصفح ويُمهل ولا يُهمل .

أم هل أمنتم اللهَ الذي فوق السموات، العالي على خلقه، أن يعذبكم بمعاصيكم، فيُرسل عليكم ريحاً عاصفةً ترميكم بالحصباء فتُهلككم ؟

فسوف تعرفون كيف إنذاري، وعاقبة من تخلّف عنه وكذّب به، أنَّهُ إلى هلاك .

ولقد كذّب الذين من قبل كفار مكة من الأمم السالفة والقرون الماضية، كذبوا رسلهم، فكيف كان إنكاري عليهم ؟ لقد أهلكتهم وأخذتهم أخذ عزيز مقتدر .

أولم يشاهدوا الطير وهي فوق رؤوسهم ؟ تطير في الهواء تبسط أجنحتها وتقبضها، ما يُمسكهن في الجو من السقوط إلا الله ﷻ الذي رحمها ورحم خلقه، إنه بصير بما يُصلح كل شيء من خلقه بتقديره وهداه .

بل من هذا الذي هو جندٌ لكم يمنعكم من الله إذا أراد الله بكم سوءً، فيدفعه عنكم ؟ إنه لا أحد يستطيع ذلك غير الله ﷻ . وما الكافرون إلا في غرور أوقعهم الشيطان فيه، وزيّن لهم ذلك .

بل من هذا الذي يرزقكم بالمطر والنبات وغير ذلك، إن أمسك الله رزقه عنكم؟ إنه لا أحد يرزقكم إلا الله ﷻ . بل تمادى الكفار في معاندةٍ واستكبارٍ ونُفرةٍ عن قبول الحق، فلا يسمعون له ولا يتبعونه .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم : هل نخشى الله ﷻ إذا كنا في الخلوة لا يرانا الناس ؟ إنّ من حصل على هذه المرتبة، فخاف الله ﷻ في خلوته، وتجنّب معاصيه، وأقبل على طاعته، فله المغفرة والأجر الكبير .

ولذا يا أخي :

(أ) إذا كان أحدنا وحده فليتفكّر أن الله ﷻ مُطّلعٌ عليه، عالمٌ بسرّه وعلانيته، فليخضع بقلبه لربه، ولْيَبْكِ من خشية الله ﷻ ؛ ليكون من السبعة الذين قال فيه النبي ﷺ : « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**... الحديث وفيه : « **وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » رواه الشيخان .

(ب) إذا عَرَضت لأحدنا معصية وهو في الخلوة لا يراه أحدٌ من الناس، فليقل: إني أخاف الله، ولا يقع فيها. وفي حديث السبعة: «**وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**» رواه الشيخان.

(ج) ليسأل أحدُنا ربَّه خشيته في الغيب والشهادة. وفي الحديث: «**وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... الحديث**» رواه أحمد والنسائي (صحيح).

(د) إذا قام أحدنا من الليل وحده، صلى ما كتب الله له مما تيسر، وذكر الله، ومن ذلك ما ذكره ﷺ في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةٌ يَشْنَؤُهُمُ اللَّهُ عز وجل ...الحديث**»، وذكر منهم: «**وَالْقَوْمُ يُسَافِرُونَ فَيَطُولُ سُرَاهُمْ حَتَّى يُحِبُّوا أَنْ يَمَسُّوا الْأَرْضَ فَيَنْزِلُونَ فَيَتَنَحَّى أَحَدُهُمْ فَيُصَلِّي حَتَّى يُوقِظَهُمْ لِرَحِيلِهِمْ**» رواه أحمد والترمذي (صحيح).

٢ ـ أخي المسلم: إن الله جعل الأرض مذلّلة، وأمرنا ببذل الأسباب في طلب الرزق بالمشي في مناكبها بحثاً وراء الرزق الحلال من زراعة أو صناعة أو تجارة أو عمل، فلا يليق بأحدنا أن يتكفف الناس بدون عذرٍ له في ذلك، وإذا رأينا من يتكفّفون الناس ويسألونهم بدون عذر قلنا لهم: يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ ولا تحل المسألة إلا لثلاثة، كما أخبر النبي ﷺ: «**رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ**

قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنْ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا » رواه مسلم عن قبيصة بن المخارق ﷺ .

فعلى الشباب وغيرهم أن يتحركوا في أرض الله ﷻ لطلب الرزق من أي مصدرٍ حلال، ويتوكلوا على الله، ويفوِّضوا أمرهم إليه، وقد قال ﷺ في حديث عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما : «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**» رواه الترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجة (صحيح) .

٣ - في قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ دليل على صفة العلو لله ﷻ (علوّ الذات)، فنُثبت ذلك لله بلا تمثيل، كما قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] .

و (في) في الآية إما أن تكون على بابها، فيكون المراد بالسماء في الآية (العلوّ) . وإن كانت بمعنى (على) فيكون المراد بالسماء (السماوات)، كما قال تعالى عن فرعون : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾[طه:٧١] بمعنى : على جذوع النخل .

وقد دلّت السنة على أن الله ﷻ في السماء (في العلوّ)، ففي حديث الجارية التي سألها النبي ﷺ : «**أَيْنَ اللهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» رواه مسلم .

" فالله عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، على ما يليق به سبحانه ".

٤ - أيها الناس : لينظر أحدنا إلى الطير وهي تطير في الجو، تبسط أجنحتها وتقبضها، إن في ذلك لدلالة على قدرة الله العظيمة، الذي حفظها من الوقوع و السقوط، وجعلها مذللة في جوِّ السماء، إن هذا الطير يسبِّح لله، ويعبد الله سبحانه وتعالى، خاضعاً متوكلاً على الله في طلب رزقه، يهاجر إلى مناطق بعيدة، في هذا العالم يغدو ويروح ، هل نأخذ درساً في توكلنا على الله في طلب الرزق من الله كما يرزق هذا الطير ؟ وهل عبدنا الله ﷻ أنا وأنت، متوكلين عليه، مقبلين عليه، مسبحين الله، مكثرين من ذكره ؟ أسأل الله أن يوفقنا وإياك لذلك!.

***

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴿٣٠﴾ ﴾

التفسير :

مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر في الضلال والهدى، أفمن يمشي منحنياً مُكبّاً على وجهه لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل هو تائه حائر ضال، هل

هذا أهدى وأبصر أم من يمشي منتصب القامة على طريق واضح بيِّن، وفي نفسه مستقيم ؟

قل – أيها الرسول – للكفار : الله وحده الذي ابتدأ خلقكم من العدم، وخلق لكم السمع لتسمعوا به الأصوات، والبصر لتروا به المرئيّات، والقلوب للتدبّر والتفهّم والتفقّه، فما أقل شكركم على هذه النعم وغيرها ! وقلّما تستعملون هذه القوى في طاعة الله وامتثال أوامره، وترك نواهيه .

قل – أيها الرسول – للناس : الله الذي بثّكم ونشركم في أقطار الأرض ونواحيها، وإليه ترجعون يوم القيامة ؛ ليُجازى كل عامل بعمله، إنْ خيراً فخير وإن شراً فشر .

ويقول الكفار مستبعدين للبعث منكرين له : متى يحصل هذا البعث الذي تعدونا أيها المسلمون إن كنتم صادقين فيما تقولونه لنا أنّه آتٍ وكائن ؟ قل -أيها الرسول- لهم : إنما علم وقت قيام الساعة عند الله، لا يعلمه إلا هو، ولا يعلمه غيره، وإنما أنا محذّر ومُخوِّف، بيّن النذارة لكم منه، بين يديْ عذابٍ شديدٍ يوم القيامة .

فلما قامت القيامة ورآها الكفار، ورأوا العذاب قريباً منهم، تغيرت وجوه الكفار وعلاها السواد والكآبة، والحزن والذلة، والهوان والخزي، وقيل لهم – تقريعاً وتوبيخاً – هذا الذي كنتم به تستعجلون من العذاب وقع بكم هذا اليوم .

قل - أيها الرسول – للكفار : أخبروني إن أماتني الله ﷻ وأمات من معي من

المؤمنين أو رحمنا فلم يهلكنا بعذابه، فمن يُنقذ الكافرين ويمنعهم من عذابٍ أليم موجع ؟ إنه لا أحد يمنعهم من عذاب الله، فهو واقعٌ بهم لا محالة .

قل – أيها الرسول – للكفار : إن الله ﷻ هو الذي رحم عباده، يدعوكم للإيمان به والدخول في رحمته التي للمؤمنين، قد آمنّا به واتّبعنا رسوله ﷺ، وعلى الله توكلنا واعتمدنا دون سواه، فستعلمون – أيها الكفار – من هو في ضلال واضح بيّن أنحن أم أنتم ؟

قل : أيها الكفار، أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً في الأرض ولم تستطيعوا أن تنالوه، فمن يأتيكم بماءٍ عذبٍ جارٍ على وجه الأرض، فتشربون منه وتسقون وتزرعون ؟ إنه لا أحد غير الله ﷻ يأتيكم به .

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم إنّ العبد كلما كان بعيداً عن الله ﷻ، منغمساً في معصية ربه، كان عنده شيء من الانتكاس في حياته، ولذا يا أخي، لنحذر من هذا السلوك ! وعلينا أن نصحّح وضعنا ؛ لسلوك طريق طاعة الله ﷻ والتوبة إليه واللّجأ إليه، وأما الكفار فعندهم الانتكاسة التامة، وهم يوم القيامة منكوسون في مشيهم، ولمّا سُئل رسول الله ﷺ : كيف يُحشر الناس على وجوههم ؟ قال ﷺ : «**إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ**» رواه أحمد والترمذي (صحيح) .

٢ – أيها المسلم :إن السمع والبصر التي آتانا الله ﷻ هي نعم عظيمة ومنّة من الله، ولسوف نُسأل عن تلك النعم، فهل وضّفنا أسماعنا وأبصارنا فيما ينفعنا،

فاستعملناها في طلب العلم والهدى، وفيما يُباح، ولم نجعلها فيما حرم الله النظر إليه وحرّم استماعه ؟ وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِي يَوْمَكَ هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَا فَيَقُولُ لَهُ الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**» رواه الترمذي (صحيح) .

استغل سمعك وبصرك من الآن فيما ينفعك عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة، اقرأ القرآن، اقرأ كتب العلم، انظر في آيات الله واعتبر، استفد من إذاعة القرآن الكريم، ومن الشريط الإسلامي باستماع ذلك والاستفادة منه، واستعذ أخي بالله من شر سمعك وبصرك، ففي حديث شَكَل بن حميد رضي الله عنه قال : (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً قَالَ : « **قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي**» ... الحديث) رواه أبو داود والترمذي والنسائي (صحيح) .

٣ - أيها المسلم : هل استفدنا من قلوبنا بالعبرة والتذكر والاتعاظ، والهمّ بالحسنات، والفقه في العلم (القرآن والسنة) ؟ فما أكثر الذين سعوا في خراب قلوبهم بالشبهات والشهوات ! فيا أخي :

(أ) علينا أن نعتني بقلوبنا بحضور مجالس العلم والفقه والوعظ، وأن نتفهّم كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ، وأن نعيه بتلك القلوب، وأن نقف عند آيات الوعد والوعيد، ونفكر في سيرنا إلى الله، وما أعد الله لعباده المؤمنين وما أعد للعصاة، فنسير في الطريق الصحيح المؤدي إلى ما يُرضي ربنا، وعلينا البعد عن الشبهات وعن الشهوات فإنها تُمرض القلوب وتؤدي بها إلى العطب والهلاك .

(ب) لندْعُ الله ﷻ أن يُثبّت قلوبنا على دينه، وقد كان ﷺ «**يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**» رواه أحمد والترمذي عن أنس ﷺ.

(ج) لنستعذ بالله من قلب لا يخشع، فإن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَرْبَعٍ: «**مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ**» رواه مسلم وأصحاب السنن.

(د) لنستعذ بالله من شر قلوبنا، ففي حديث شَكَل بن حميد ﷺ قال: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ قَالَ: «فَأَخَذَ بِكَتِفِي» فَقَالَ: «قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**» رواه النسائي والترمذي (صحيح).

(هـ) لنستعذ بالله من فتنة الصدر، ففي حديث عمر ﷺ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ) رواه النسائي (صحيح).

(و) لنسأل الله ﷻ أن ينقي قلوبنا، كما قال ﷺ في حديث عائشة ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ... الحديث**» وفيه: «**وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ**» رواه الشيخان.

٤ - أخي المسلم إن الماء الذي تشربه وتنتفع به، إنما هو نعمة من الله الكريم، فإن ذهب به، فمن يأتينا به؟ لا أحد غير الله ﷻ.

أخي: فلنجعل هذه النعمة في ما يرضي ربنا، ولا نعصي الله فيها، ولننتبه إلى ما يلي:

(أ) ترك الإسراف في الماء، فإن الإسراف محرم، كما قال تعالى :﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[الأعراف : ٣١] .

ومن ذلك يا أخي : لا تسرف في ماء الوضوء، فإن الكثير من الناس يفتح الصنبور فتحاً شديداً، فيستهلك ماءً كثيراً جداً، وهذا مخالف لهدي النبي ﷺ في الوضوء، فقد كان ﷺ يتوضأ بالمُد ويغتسل بالصاع، كيف وضوئي ووضوءك وغسلي وغسلك بكمية الماء ؟

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : (بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَتَوَضَّأَ مِنْ شَنَّةٍ وُضُوءًا يُقَلِّلُهُ فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ) روه ابن ماجة وأصله في الصحيح .

(ب) لنعلم أنّ من زاد في وضوءه على ما جاء عن رسول الله ﷺ فهو مذموم، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : «**جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنْ الْوُضُوءِ فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ هَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ أَوْ تَعَدَّى أَوْ ظَلَمَ**» رواه أبو داود وابن ماجة (صحيح) .

(ج) في كل استعمالات الماء وغيره، لنحذر من الإسراف ، والله الموفق.

* * *

تفسير سورة (ن)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ ﴾

التفسير :

نون من الحروف التي استأثر الله بعلمها، وأقسم بالقلم الذي كتب وتكتب به الملائكة والبشر ؛ لأهميته ونفعه، وأقسم بما يكتبون به من العلوم النافعة والأحكام الجامعة.

ما أنت - أيها الرسول - بما أنعم الله عليك به من الرسالة والوحي بمجنون لا عقل له، بل أنت أكمل الناس عقلاً وأسدّهم رأياً، وإن لك لأجراً عظيماً عند الله على تبليغك للرسالة وأدائك للأمانة ونصحك للأمة، أجر غير مقطوع بل مستمر دائم إلى يوم القيامة.

وإنك - أيها الرسول - لعلى خُلق عظيم، أكمل خُلق وأفضل سجايا وأكرم

شمائل وأرفع أدب وأزكى سريرة . فسيتّضح لك ولأعدائك الكفار يوم القيامة أيكم على الصراط المستقيم والنهج القويم، حين يتميز الحق من الباطل والهدى من الضلال، وستعلم أيها الرسول وسيعلم الكفار أيكم الضال الذي افتُتِن عن الحق وضل عنه ومن هو المجنون .

إن ربك هو أعلم بمن هو من الفريقين منكم ومنهم هو الضال المنحرف عن الحق ومن هو المهتدي، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

فلا تطع - يا رسولنا- من كذّبك، وامضِ في تبليغ رسالتك، فإنك على دينٍ قويم وشرعٍ مستقيم .

تمنّى الكفار أن تلين لهم بترك دينك وتبليغ رسالة ربك، أو بترك بعض ذلك، فيلينون لك فيما توافقهم فيه ولا ينُازعونك ويُغلظون لك .

ولا تُطِع أيّها الرسول كل كاذب كثير الحلف، مكابر ضعيف حقير، مُغتاب ملتمس العيوب للناس مشّاء بالنميمة ينقل الكلام للإفساد في المجتمع وزرع البغضاء بين المسلمين، كثير المنع للخير مما وجب عليه وما عنده من الخير، معتد بتناول ما أباح الله، بتجاوزه فيه الحدَّ المشروع، أثيم في تناول ما حرّم الله عليه والوقوع في كثرة الآثام والمعاصي، فظٍ غليظٍ في بُعده عن الله وإعراضه عنه وتكبُّره وتجبُّره على الخلق ولؤمه وعدم حيائه وخِسّة خلقه، دَعيٍّ فلا يُعرف له أب، رجل من قريش له زَنَمَة كزَنَمة الشاة، لأجل أنه صاحب مال يكفر بالله ﷻ ويعاند رسوله ﷺ، فيقابل ما انعم الله عليه من المال والبنين بالكفر بالله، وكان الأجدر به أن يؤمن بالله ويشكره ويُثني عليه وينيب إليه، إذا قُرئ عليه آيات القرآن

قال هذه خرافات وتُرّهات الأمم الماضية، سنجعل له علامة قبيحة على أنفه يُعرف بها مادام حياً .

بعض الدروس من الآيات :

١ - القلم الأول هو الذي كتب مقادير الخلائق بأمر الله ﷻ، وقد قال ﷺ في حديث عبادة ﷺ : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي** » رواه أبو داود (صحيح) .

وعند الترمذي : « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ اكْتُبْ فَقَالَ مَا أَكْتُبُ قَالَ اكْتُبْ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ** » (صحيح) وفي لفظ عند الترمذي: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ**» (صحيح) .

وفي حديث ابن عباس ﷺ قوله ﷺ : « **إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ الْقَلَمَ فَأَمَرَهُ فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ** » رواه البيهقي في السنن (صحيح) .

ولذا يترجح لي أن القلم هو أول المخلوقات . والله أعلم .

٢ - أن رسول الله ﷺ قد زكّاه الله ﷻ تزكيةً تامة، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وقالت عائشة ﷺ : « **كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ** » رواه مسلم .

أخي المسلم : هل تخلّقنا بخلق رسول الله ﷺ (القرآن) في حياتنا كلها ؟

ومن ذلك :

(أ) أن يكون أحدنا أحسن مجتمعه خلقاً، فقد كان ﷺ : « **أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا**» رواه البخاري عن أنس ﷺ .

(ب) أن نكون أصحاب حياء جمّ، فقد كان ﷺ : « **أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا** » رواه الشيخان من حديث أبي سعيد رضي الله عنه .

(ج) لا يقل أحدنا للخادم أو للزوجة ونحوهم (أُفّ)، ولا لشيء فعله لمَ فعلته، أو لشيء لم يفعله ألا فعلته، كما كان النبي ﷺ، كما قال أنس رضي الله عنه : « **خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ وَلَا لِشَيْءٍ فَعَلْتُه لِمَ فَعَلْتَه وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْه أَلَا فَعَلْتَه ... الحديث** » رواه الشيخان.

(د) لا يضرب أحدُنا خادماً أو امرأةً أو شيئاً، وإذا خُيِّر أحدُنا بين شيئين فليختر الأيسر، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، ولا ينتقم أحدنا لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله عز وجل فينتقم لله ؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : (مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِه خَادِمًا لَهُ قَطُّ وَلَا امْرَأَةً وَلَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِه شَيْئًا قَطُّ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَيْهِ أَيْسَرُهُمَا حَتَّى يَكُونَ إِثْمًا فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْ الْإِثْمِ وَلَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكُونَ هُوَ يَنْتَقِمُ لِلَّهِ عز وجل) رواه أحمد (صحيح) .

(هـ) من خُلُقه ﷺ ومعالجته لأهل بيته، أنّه ﷺ : « **إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ** » رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(و) من خُلُقه ﷺ أنه كان « **طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ** » رواه أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه (صحيح) .

(ز) من خُلُقه ﷺ أنه كان « **لاَ يَأْكُلُ مُتَّكِئًا** » رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (صحيح) .

(ح) من خُلُقه ﷺ أنه كان « **لَا يَمْنَعُ شَيْئًا يُسْأَلُهُ** » رواه أحمد عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه (صحيح) .

(ط) كان ﷺ « **يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ تُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ** » رواه أبو داود (صحيح).

(ي) كان ﷺ « **يمر بالصبيان فيسلم عليهم** » رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه .

(ك) كان ﷺ « **يَسْتَحِبُّ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ الْخَمِيسِ** » رواه الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها (صحيح) .

أيها الأخ المؤمن، قد ذكرت لك جملةً من شمائل رسول الله ﷺ لنتخلّق بها، والله الموفق .

٣ - أخي المسلم : يجب علينا تجنب الهمز والنميمة فإنها :

(أ) قال ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه : « **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ** » رواه الشيخان. "القتات : النمام "

(ب) يُعذّب النمام في قبره، لقوله ﷺ في صاحبي القبرين الذين يُعذبان : « **وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ... الحديث** » رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٤ - تحريم الغيبة، ما أكثر الواقعين في هذا الإثم (الغيبة) ! فاحفظ - أخي - لسانك عن الكلام في عباد الله، واتق الله فإننا والله لمسئولون يوم القيامة عن أعمالنا وأقوالنا، وإن الغيبة من كبائر الذنوب، ومنها ما يكون بهتاناً، وقد سُئل ﷺ

عن الغيبة فقال : « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ قَالَ إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ » رواه مسلم وأبو داود .

* * *

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾

التفسير :

إنا اختبرنا كفار قريش بالقحط والجدب والقتل والمصائب، كما اختبرنا أصحاب الجنة

(البستان) يوم حلفوا ليقطعُنّ ثمارها وقت الصباح الباكر ؛ لئلا يعلم بهم الفقراء فلا يعطوهم منها شيئاً، ولا يستثنون في حلفهم ولم يقولوا إن شاء الله، فنزل على الجنة ناراً أرسلها الله عز وجل فأحرقتها وهم نائمون، فأصبحت جنتهم كالليل محروقة كالليل الأسود، فنادى بعضهم بعضاً وقت الصباح أن اذهبوا مبكرين إلى بستانكم إن كنتم جادّين في قطعه وقت الصباح، فانطلقوا إلى بستانهم مسرعين يحثُّ بعضهم بعضاً بصوتٍ خافت ؛ حتى لا يسمعهم الفقراء،

وأجمعوا أن لا يدخل جنتكم اليوم أي فقير، بل امنعوهم منها وانطلقوا مبكرين بقصدٍ سيءٍ وغضبٍ على المساكين، وظنوا أنهم قادرون على تنفيذ ما أجمعوا عليه من منع المساكين والمحتاجين . فلما رأوا جنتهم سوداء محترقة قالوا : ليست هذه جنتنا، إنا أخطأنا الطريق إليها، فلما علموا أنها جنتهم قالوا : هي جنتنا ولكنا مُحرمون خيرها بعزمنا السيئ على منع المساكين منها، قال خيرُهم وأعدلُهم : ألم اقل لكم لولا تستثنون (استثنوا بقول إن شاء الله) ؟ قالوا : تنزّه الله ﷻ عن إتلاف جنتنا ظلماً، إنا كنا ظالمين أنفسنا بعملنا السّوء، فما أصابنا فهو بسبب ذنبنا . فاقبل بعضهم يلوم بعضاً على سوء عملهم في عزمهم حرمان المساكين، قالوا : يا هلاكنا، إنا كنا متجاوزين الحد في معصية الله بمنع المساكين والسعي في طردهم حتى لا يحصلوا على شيء من جنتنا، عسى ربنا أن يعطينا بدلاً عن جنتنا خيراً منها، إنا إلى ربنا راغبون في بدلها وفي الثواب عند الله في الدار الآخرة .

كذلك عذاب الله ونقمته لكل من خالف أمره وعصاه يحصل، كمثل أهل البستان في هذه القصة حين خالفوا أو بخلوا فعاقبهم الله، ولَعذاب الآخرة أشد وأشق من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون ذلك لأقبلوا على ربهم بطاعته وترك معصيته .

بعض الدروس من الآيات :

١ - رسالة إلى أصحاب البساتين والمزارع والثمار وغيرها :

أيها المسلمون أصحاب البساتين والمزارع ، تذكروا هذه القصة عندما تريدون قطع ثمار مزارعكم وبساتينكم، واجعلوا للفقراء والمساكين حظاً وافراً من هذه

الثمار التي لديكم، وأعطوهم منها بطيبة نفسٍ وسخاوة وكلمة جميلة، وفرح بما عند الله من الثواب العظيم، تصدّقوا على المحتاجين من تموركم، من حبوبكم (ذرة أو شعير أو غيرها) من فواكه مزارعكم (موز أو برتقال أو تين أو مشمش أو تفاح أو غيرها) من زرعكم الذي للبهائم، وأنتم يا من يتسلم راتبه في ٢٥ من الشهر أو يتسلم تقاعده في ١٥ من الشهر أو يتسلّم غير ذلك في أي وقت، وأنت يا صاحب الدكان والبقالة وبائع اللحم والأقمشة وصاحب المطعم والبوفية وغيرهم، اجعلوا للمساكين شيئاً من دخلكم، فإن ما تصدقت به هو الباقي لك عند الله، وهو الذي لك، كما قال ﷺ : « **وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ** » رواه مسلم . وفي حديث عائشة رضي الله عنها : « **أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَ مِنْهَا قَالَتْ مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا** » رواه الترمذي (صحيح) . تصدق أخي ولا تخش الفقر.

٢ - أخي المسلم ، استثنِ في كلامك، لا تقل سأفعل كذا غداً، لكن قل : سأفعل كذا غداً إن شاء الله، وقد قال تعالى :﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾[الكهف :٢٣-٢٤] .

واستثن في يمينك حتى لا تحنث، ويجوز ترك الاستثناء في اليمين في فعل نفسه، كما قال ﷺ : « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ ...الحديث**» رواه الشيخان . وله الاستثناء كما قال ﷺ في حديث أبي موسى رضي الله عنه : « **إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ**

خَيْرٌ» رواه الشيخان .

وأما الخبر عن الأمور القطعية فلا يُستثنى في اليمين فيها، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **وَالَّذي نَفْسي بِيَدِه لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ** » رواه مسلم .

٣ - أخي المسلم :إن الذنوب شؤم على العبد في الدنيا والآخرة ؛ ولذلك حذر منها القرآن وذكر قصص السابقين الذين عصوا الله عز وجل وما حل بهم من عذاب الله ونقمته، وما جاء في هذه القصة (أصحاب الجنة) وما أصابهم في بستانهم، وقد حذّر النبي ﷺ من المعاصي كبيرها وصغيرها، فقال في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : « **إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ**» رواه أحمد .

وحذّر ﷺ من كثير من الكبائر فقال (إياكم وكذا) (إياي وكذا) كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ** » رواه الترمذي (صحيح) . وقال ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه : « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ... الحديث** » رواه الشيخان . وقال ﷺ في حديث معاوية رضي الله عنه : « **إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ** » رواه ابن ماجة (صحيح) .

وقد رتّب الشارع على المعاصي عذاب الله في الآخرة، ورتّب على بعضها ضرراً في الدنيا يلحق العبد، كما قال ﷺ : « **إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ**

وَالصَّلاَةَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مِنْ الْمَلاَعِنِ» رواه ابن ماجة عن جابر ﷺ (حسن) . أخي، احذر من الذنوب فإنّ أثرها سيء على صاحبها في الدنيا والآخرة ! "بما كسبت أيديكم" احذر ! احذر! احذر! .

٤ - إذا كنت أخي المسلم مع بعض الزملاء والرفقاء فَدُلّهم على الخير، وكن خيرهم وأفضلهم في خُلُقك وكلامك ونصيحتك ؛ لتكون خياراً عدلاً نافعاً لهم، وقد قال ﷺ في حديث جابر ﷺ : «**خيرُ النَّاسِ أنفعُهُم للنَّاس**» حسنه الألباني رحمه الله . وقد قال ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو ﷺ : «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا**» رواه الشيخان . والله الموفِّق .

* * *

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

التفسير :

إن للذين اتقوا ربهم بفعل أوامره واجتناب نواهيه عند ربهم جنات فيها النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، أ فنساوي بين المستسلمين المنقادين لله والمجرمين المعرضين عن الله الكافرين به، في الجزاء ؟ كلا ! فهذا غير كائن، مالكم، كيف تحكمون هذا الحكم الجائر بالمساواة بينهم في الأجر وهم غير متساوين في العمل ؟ أم عندكم كتابٌ منزَّلٌ من الله تدرسونه متضمنٌ حكماً مؤكِّداً ما تدعونه بالمساواة بين المسلم والمجرم ؟ فوجدتم في هذا الكتاب الذي عندكم أنّ لكم فيه ما تختارون على حسَب أهوائكم، أم معكم عهودٌ منّا ومواثيق مؤكدة أنه سيحصل لكم ما ترغبون وتشتهون ؟ .

اسألهم – أيها الرسول – من هو الضّامن المتكفِّل منهم بحصول ذلك كما يشتهون ؟! أم لهم شركاء من الأصنام والأنداد تكفل لهم ما ادّعوه من حصولهم على ما يريدون ؟ فليأتوا بشركائهم الكفلاء إن كانوا صادقين فيما ادّعوه .

يوم القيامة يعظُم الهول والكرب، ويكشف ربُّنا ﷻ عن ساقه، ويُؤمر الناس بالسجود، فيسجد المؤمنون أمّا الكفار والمنافقون فيذهب ظهر أحدهم طبَقاً واحداً فلا يستطيعون السجود، خاشعةٌ أبصار الكفار فلا تطرف من شدة الخوف، تغشاهم ذِلةٌ عظيمة، وقد كانوا في الدنيا يُدعوْن للسجود لله ﷻ وهم مُعافون مستطيعون، فيرفضون تكبُّراً وكفراً بالله وعناداً له .

فدَعني – أيها الرسول – ومن يُكذّب بهذا القرآن، أنا أعلم كيف استدرِجه وأمدُّه في غيِّه، وأنظِره، ثمّ آخذه أخذ عزيزٍ مقتدر وهو لا يشعر باستدراجي له،

بل يظن أن ذلك كرامةً له من الله، وهو في نفس الأمر إهانة له وزيادةٌ في عذابه.

وأُؤخرهم وأمهلهم في الحياة الدنيا ليزدادوا إثماً، وأُمدُّهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، إنّ كيدي شديد قوي لمن كفر بي وكذّب رسلي .

بل أتسأل – أيها الرسول – الكفار أجرةً على تبليغ الدعوة ؟ فهم يشعرون بثقل الأجرة التي كُلِّفوا بدفعها إليك وغرامتها لك، إنك – أيها الرسول – تدعوهم إلى الله ﷻ بلا أجرٍ تأخذه منهم، بل ترجوا ثواب الله .

هل علموا الغيب فهم يكتبون مما علموه بأن لهم ما يشتهون ويحصل لهم ما يريدون ؟! كلا، فلا علم لهم بشيء وإنما يقولونه تخرصٌ وظنون .

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم : إنّ من اتّقى الله ﷻ فإنّ له عند الله جنات النعيم، فلنكن من المتقين لله بفعل أوامره وترك نواهيه، ولنقُم على أنفسنا بالعمل والمسارعة إلى الجنة، والصبر على المكاره ؛ لأنّ الجنة حُفّت بالمكاره، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ... الحديث** » رواه الترمذي وأبو داود (صحيح) .

٢ – أيها المسلم : إنّ المسلم التقي لا يُساوى بالكافر ولا يُساوى بالفاسق، ومن المؤسف أن بعض الناس يساوي بين المؤمنين الأتقياء والفسقة، فليعلم كلُّ واحد

منّا أنّ هذا المنهج ليس صحيحاً، فإنّ المؤمن التقي يجب محبته أكثر من المسلم الفاسق ؛ لأنّ الولاء والبراء يجتمعان في حق المسلم العاصي (الولاء بقدر ما عنده من إيمان وصلاح، والبراء بقدر ما عنده من معصية الله) ولذلك يجب البراءة من المخالفة، وقد قال ﷺ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ** » رواه البخاري .

٣ - إثبات صفة الساق لله ﷻ على ما يليق بجلاله، مع نفي التمثيل كما قال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى:١١] .

ومما يدل على إثبات صفة الساق قوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا** » رواه البخاري .

٤ - أخي المسلم، ما أشد أهوال يوم القيامة ! ولذلك علينا أن نحسب لذلك اليوم كل حساب من الآن بالاستعداد له بكل عمل صالح والبعد عن المحرمات والمسارعة في الطاعات، وكثرة التوبة والاستغفار وذكر الله ﷻ ويشرع الدعاء والاستعاذة بالله من ضيق المقام يوم القيامة ؛ فإنه ﷺ كان : « **يَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » رواه النسائي (صحيح) .

* * *

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾
وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

التفسير :

فاصبر – أيها الرسول – لما حكم به ربك من حمل الرسالة وتبليغها والاضطلاع بأعبائها، وما لحقك من أذى قومك وتكذيبهم لك ، واستمرّ في دعوتك ولا تعجل على قومك، فإنّ الله سيحكم لك عليهم وسيجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ولاتكن كيونس بن متّى ﷺ في تضجره وعدم صبره على قومه وذهابه مغاضباً عليهم ؛ فالتقمه الحوت فنادى ربه داعياً وهو مملوء غمّاً وكرباً :﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، لولا أن أدركته رحمة الله فألهمه الله التوبة ووفّقه لها، لَطُرِح من بطن الحوت بالمكان العاري عن وسائل السلامة، والموحش الخطِر المُهلك، وهو ملامٌ على ما عمله من غضبه على قومه وتركه لهم، فاصطفاه ربه بإرساله إلى قومه وإعادته إليهم بعد انقطاعه عنهم، فجعله من الصالحين المصلحين والرسل الدعاة المهتدين .

ويوشك الكفار أن يصرعوك بأبصارهم حسداً وبغضاً لك لمّا سمعوا القرآن، ويقولون إنك لمجنون ليصُدُّوا الناس عن الاستجابة لدعوتك .

وما هذا القرآن إلا تذكير للعالمين، فيذكّر الله به الجنَّ والإنس أن يعبدوه وحده لاشريك له، فمن تذكّر به فاز وأفلح، ومن أعرض عنه خاب وخسر وهلك .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها الدعاة إلى الله عزوجل : اصبروا على الدعوة إلى الله عزوجل مهما حصل لكم من الأذى، ولا تتبرموا وتتركوا الدعوة إلى الله عزوجل بسبب ما يحصل لكم من الأذى بسبب الرد عليكم وعدم الاستجابة لدعوتكم ؛ لأن الدعوة إلى الله عبادة عظيمة وتكليف شريف ومنهج نبوي ولا بدّ أن يتعرض الداعية للأذى، فلا يكاد يسلم داعية من أذى (يُؤذى الداعية من الكفار والمنافقين وبعض الفساق) يخاف الداعية ويُهدّد ويُتوعد من الكفار والمنافقين وبعض الفسقة، يُضيّق على الداعية من الناحية المالية - حتى في طعامه وتنقله- من الكفار والمنافقين وأعوانهم، ولقد حصل هذا كله لرسول الله ﷺ كما في حديث أنس، فقد قال ﷺ : « **لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ** » رواه الترمذي وابن ماجة (صحيح) .

٢ - أيها المسلم، لا يكن أحدنا مثل الذين كانوا يقومون ببعض الطاعات ثم تركوها، ويُشرع لنا أن نوجّه إلى فعل السنن وننهى أن يكون أحد مثل الذين يتركون السنن من العبادات بعد فعلها، وقد قال ﷺ لعبد الله بن عمرو : « **يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ** » رواه الشيخان .

٣ - أخي المسلم، ما جاء في العين :

(أ) العين حق، لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه : « **الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ** » رواه مسلم . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **الْعَيْنُ حَقٌّ** » رواه الشيخان .

(ب) إذا رأى أحدٌ ما يعجبه من أخيه فليدعُ له بالبركة، ولمّا مرّ عامر بن ربيعة بسهل بن حُنيف وقال : لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة، فصُرع سهل، فلما أُخبر النبي ﷺ قال : « **عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ... الحديث**» رواه ابن ماجة والنسائي (صحيح) .

(ج) يُشرع الاستعاذة بالله من العين، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ** » رواه ابن ماجة (صحيح) .

(د) ويُشرع الاسترقاء من العين ؛ لأنه ﷺ أمر عائشة رضي الله عنها : « **أَنْ تَسْتَرْقِيَ مِنْ الْعَيْنِ** » رواه الشيخان .

(هـ) العين من الإنس والجانّ، وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه قال : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجَانِّ ثُمَّ أَعْيُنِ الْإِنْسِ فَلَمَّا نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَهُمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذَلِكَ) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة (صحيح) .

(و) من رُقية العين وغيرها ما جاء في حديث أبي سعيد رضي الله عنه : (أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ) رواه مسلم . وفي لفظ عند أحمد :« **بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ اللهُ يَشْفِيكَ** » صحيح.

(ز) كان ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين يقول : « **أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ** » رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(ح) من علاج العين ما جاء في حديث عامر بن ربيعة لمّا اتهموه بسهل بن حنيف أن النبي ﷺ : « **أَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ، قال الزهري : وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه** » رواه ابن ماجة (صحيح) وعند أحمد : « **فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ ثُمَّ صُبَّ ذَلِكَ الْمَاءُ عَلَيْهِ** »

(ط) من اتهُّم بأنه عان شخصاً فأُمر بالاغتسال (بالوضوء) فإنه يتوضأ ولا يجوز له الامتناع ؛ لقوله ﷺ : « **وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا** » رواه مسلم .

(ي) في حديث جابر قوله ﷺ : « **أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس يعني العين** » حسنه الألباني رحمه الله .

٤ - ليس لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متّى ؛ لقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى** » رواه الشيخان . ولا يُفضَّل أحدٌ بعينه من الأنبياء على أحد بعينه، ولا يُفضَّل أحدٌ من الأنبياء على بقية الأنبياء ؛ لقوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ ... الحديث** » رواه الشيخان .

* * *

تفسير سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)﴾

التفسير :

القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، والجزاء بالنعيم أو العذاب، ما القيامة التي يتحقق وقوعها ويعظُم أمرها ؟ وما أعلمك - أيها الرسول - ما القيامة وما يكون فيها من الأهوال العظيمة التي تذهل لها القلوب وتتحير العقول ؟ .

كذّبت ثمود (قوم صالح) وعاد (قوم هود) بالقيامة التي تقرع القلوب بأهوالها، فانتقمنا منهم وأهلكناهم، فأما ثمود فأهلكهم الله بالصيحة الشديدة، وأما عاد فأهلكهم الله بريحٍ شديدة الهبوب ذات صوتٍ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)﴾ [الأحقاف: ٢٥] . سلّطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعات بلا توقّف فأهلكتهم، فترى القوم فيها هلكى مُلقين على الأرض كأنهم أصول نخلٍ ساقطة خرابة بالية، فهل ترى لهم أحداً من بقاياهم بعد إهلاكهم ؟ لقد بادوا عن آخرهم ولم يبق منهم خلف .

وجاء فرعون ومن قبله من الأمم التي كذبت الرسل وقوم لوط بالجريمة الشنيعة، والذنوب الخاطئة من الشرك والمعاصي والتكذيب، فكلٌ منهم عصوا رسول ربهم لمّا جاء، وكذّبوه وعاندوه، فأخذهم الله بإهلاكهم أخذةً عظيمةً شديدة أليمة .

إنا لمّا زاد ماء الطوفان على الحد وارتفع وكثر في زمن نوح عليه السلام حملنا أجدادكم الأصول في السفينة وأنجيناكم من الغرق، وعمّ الطوفان أهل الأرض إلا من كان مع نوح في السفينة ؛ لنجعل حملكم في السفينة وإنقاذكم من الغرق وإهلاك الكافرين عظة وعبرة لكم، وتعقلها وتفهمها كلُ أذن عقلت عن الله عز وجل، حافظة لما سمعته منتفعة به .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم : إن أمر القيامة عظيم، فماذا أعددنا لها ؟

ليفكر كل واحد منّا في أمر آخرته، وليجعل ذلك نصب عينيه ومحطّ اهتمامه وشغله الشاغل، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، ولكن في غير معصية الله . وإن الناظر في سيرة الرسول ﷺ يجد أنّ كلها حياة عمل واجتهاد في طلب ما عند الله، ففي قيام الليل، قام ﷺ حتى تفطّرت قدماه، وفي النهار يصوم حتى يقولوا لا يفطر، ويفطر حتى يقولوا لا يصوم، وهو في الجهاد في سبيل الله عز وجل والإنفاق والصدقة، فلا مجال من المجالات إلا وتجد أنه ﷺ يعمل فيه .

أخي، لنجتهد، ولنعمل لآخرتنا من الآن حتى نلقى الله عز وجل .

٢ - أيها المسلم : كلما تذكرنا القيامة أو مرّ بنا ذكرها في القرآن أو سنة النبي ﷺ أو ذكّرنا بها الواعظ أو خطيب الجمعة، أو قبرنا جنازةً أو مررنا بالمقابر أو غيرهم ؛ فليكن السؤال الذي يتبادر إلى ذهني وذهنك : ماذا أعددنا لها ؟ ولنجعل هذا قاعدة نسير عليها ؛ لأنّ النبي ﷺ لمّا سأله رجل عن الساعة قال له النبي ﷺ : « **مَا أَعْدَدْتَ لَهَا قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ** » رواه الشيخان من حديث أنس ﷺ .

٣ - إن الله أهلك عاداً بريح الدبور ﴿ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ ، وقد نصر الله رسوله محمد ﷺ بريح الصَّبا، كما قال ﷺ : « **نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ** » رواه الشيخان . ومن نصْر الله عز وجل رسوله ﷺ بالريح، قوله تعالى في إرسالها على الأحزاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[الأحزاب:٩].

٤ - أخي المسلم :

س١ : هل أُذنك واعية ؟ وهل أُذني واعية ؟ وهل نعي هذا القرآن إذا سمعناه ، ونعي ما يقال لنا مما فيه منافع في الدين والدنيا ؟

جـ١ : أجبت فقلت : نعم أُذني واعية .

س٢ : ما هو الدليل على ما تقول ؟

جـ ٢ : لأنني كلما سمعتُ كلاماً فيه نفع لي في ديني ودنياي فهمته ووعيته وطبّقته .

س٣ : وإذا سمعتَ كلاماً هو ضرر في دينك ودنياك، ماذا تفعل ؟

جـ ٣ : أعرض عنه ولا أعمل به .

س٤: لماذا تعرض عن الذي تسمعه مما لا فائدة فيه ؟

جـ ٤: لأني قد طبّقت ما سمعته في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥].

س٥ : اذكر بعض ما تفعله لصلاح أُذنك ؛ حتى تسمع بها ما ينفعك وتعي ذلك .

جـ ٥ : من هذه الوسائل أنني أستمع وأتفّهم وأتفقّه في ما يقال لي وأعرضه على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذته وما خالفهما تركته .

س٦ : اذكر أيضاً بعض ما يُشرع أن تفعله في صالح أُذنك (سمعك) حتى تكون قائمةً بأمر الله وترك نهيه .

جـ ٦ : من ذلك التقرب إلى الله عز وجل بالفرائض والإكثار من النوافل ؛ لقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه : « **وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ... الحديث** » رواه البخاري .

س٧ : اذكر بعض وسائل الوقاية لإصلاح أُذنك (سمعك) .

جـ ٧ : منها الاستعاذة بالله من شر سمعي ؛ لقوله ﷺ لشَكَل بن حميد رضي الله عنه : «**قُلْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّي**» رواه النسائي والترمذي (صحيح)، وفي لفظ : « **قُلْ اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَلِسَانِي وَقَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي يَعْنِي ذَكَرَهُ**» رواه النسائي (صحيح) .

* * *

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾

التفسير :

فإذا نفخ اسرافيل عليه السلام في القرن النفخة الأولى وهي نفخة واحدة (نفخة الفناء) فيفنى كلُّ شيء على الأرض ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] . ورُفعت الأرض والجبال ؛ بقلعها من أماكنها، فدُكّتا دكّةً واحدةً شديدةً، فمُدّت الأرض مدّ الأديم العكاظي، وصارت الجبال هباءً منبثاً في الهواء، ففي ذلك اليوم قامت القيامة، وتصدّعت السماء وانشقت فهي في ذلك اليوم ضعيفة متخرّقة البناء، مسترخية الأجزاء لا تماسك بينها .

والملائكة على حافّات السماء واقفون، ويحمل عرش ربك يوم القيامة ثمانية من الملائكة الأقوياء، فلا يعلم قوّتهم وخلقهم إلا الله ﷻ .

في ذلك اليوم تُعرضون على الله للجزاء والحساب، لا يخفى على الله منكم شيء، فهو يعلم السر وأخفى . فأمّا من أُعطي كتابه بيمينه وهو المؤمن، فهو في فرح شديد يقول : خذوا اقرءوا كتابي - لأنه يعلم أنّ الذي فيه خير وحسنات - إني تيقّنت بلقاء ربي فعملتُ واستعددتُ له، فهو في عيشةٍ مرضية وحياة كريمة وقرّة عين لا تنقطع، في جنةٍ رفيعة القصور، مرتفعة الدّور، ثمارها قريبة سهلة التناول، يُقال لهم تفضُّلاً وإنعاماً : كلوا واشربوا مما في الجنة من كل ما اشتهت أنفسكم هنيئاً سائغاً كريماً ؛ بسبب ما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام السّالفة (الدنيا) .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم : هذه أهوال (دكّ الأرض والجبال) و (انشقاق السماء وتصدّعها) في ذلك اليوم نُعرض على الله ﷻ لمحاسبتنا ومُجازاتنا، فما الذي قدّمناه استعداداً لذلك اليوم العظيم، (الملك يومئذٍ لله، الجبروت لله، هو المتكبّر سبحانه) قال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول : « **يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ وَقَبَضَ بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْجَبَّارُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ** »قَالَ وَيَتَمَيَّلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ) رواه ابن ماجة ولمسلمٍ نحوه .

أخي، في ذلك اليوم العظيم لا ينفع ملك ولا مال ولا ولد ولا جاه ولا مناصب إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم .

ألا فلْنأخذ لذلك الموقف عدّته من الآن ! وقد قال عمر ﷺ : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الاكبر، يوم تعرضون لا يخفي منكم خافية.

٢ - أيها المسلم : إنّ خلق الملائكة عظيم، وإنّ حملة العرش قد أُذن لرسول الله ﷺ أن يُحدث عن أحدهم فقال في حديث جابر ﷺ : « **أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ** » رواه أبو داود (صحيح) .

أخي : إنّ هذا الخلق العظيم يدل على قدرة الله العظيمة وقوّته وأنه يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد لحكمةٍ يعلمها، فهل قَدَرْنا الله حقّ قدره بالقيام بطاعته وترك معصيته ؟ إنّ العاقل هو الذي يعي هذا ويفهمه، ويقوم بما أمره به ربّه ؛ حبّاً له وخوفاً منه وإقبالاً عليه . والله الموفق .

٣ - إنّ العبد يحب أن يأخذ كتابه بيمينه، لكن هل قمنا بما أمرنا الله به وانتهينا عن نواهيه ليحصل لنا ذلك بفضل الله ورحمته ؟ فمن جاء ربه مؤمناً قد عمل الصالحات فإنّه يأخذ كتاب حسناته بيمينه، كما قال ﷺ في حديث ابن عمر ﷺ : « **إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَسِتْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ قَالَ فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ ثُمَّ يُعْطَى**

كِتَاب حَسَنَاته بِيَمِينه »أخي ، حقِّق الإيمان الصّادق ولْنُكثر من التوبة والاستغفار والاعتذار إلى الله ﷻ قبل أن نلقاه . وهو سبحانه الموفق لكل خير .

٤ - ليعلم كلُ واحدٍ منا أنّ من قام بطاعة الله ورسوله، وانتهى عن معاصي الله، فذلك توفيق من الله، وكذلك من يسّر الله له دخول الجنة فذلك بفضل الله ورحمته، وإنما الأعمال سبب، وقد قال ﷺ : «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**» رواه مسلم .

يا أخي، إنّ لله عليّ وعليك منّة وفضل وإحسان في كل طاعة تقدمها ؛ فحريٌّ بي وبك أن نزدادَ شكراً لله على فضله ورحمته . والله الموفق .

* * *

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

التفسير :

وأما من أُعطي كتاب سيئاته بشماله في عرصات القيامة، فيندم ويقول : يا ليتني لم أُعط كتابي ! ويا ليتني لم أعلم ما حسابي الذي سألقاه ! لما يرى مما

سيلاقي من العذاب، يا ليت الموتة التي ذقتها كانت الموتة التي لا حياة بعدها ! لم يدفع عنّي مالي عذاب الله ونقمته، ذهب عني جاهي وسلطاني وجُندي ومنصبي، وحُجّتي التي أحتجّ بها، فلم يبق معي شيء من ذلك كلِه، قال الله لملائكته الزبانية : خذوا هذا الكافر فأجمعوا يديه إلى عنقه في الغل، ثم في نار جهنّم المحرقة اغمروه فيها ؛ ليصلى حرّها ويُحسّ حَرَقَها، ثم أدخلوا فيه سلسة طولها سبعون ذراعاً، فتدخل في إسته ثم تخرج من فيه ثم يُنظمون فيها كما يُنظم الجراد في العود حين يُشوى، إنه كان لا يُصدّق باستحقاق الله العبادة وحده دون سواه، والله المُستحق للعبادة هو العظيم في ربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته، ولا يحثُّ ولا يُشجع غيره على إطعام المسكين والفقير والمحتاج، فلا يؤدي ما وجب عليه في ذلك، فليس له يوم القيامة قريبٌ يُنقذه من عذاب الله، ولا شفيع يدفع عنه نقمة الله وبأسه، ولا طعام له يوم القيامة إلا من صديد أهل النار وما يسيل من الماء والدم من لحومهم، لا يأكل هذا الطعام إلا المجرمون الكافرون بالله .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، إنّ العبد إن كان ذا مالٍ ولم يكن مؤمناً بالله فإنّ ماله لا ينفعه يوم القيامة عند الله، وكذلك المسلم إن كان ذا مالٍ ولكنّه مرتكب للذنوب غير مبالٍ بربه فإنّ ماله لن يُغني من الله شيئاً ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴾ فلْيتق اللهَ العبدُ من اليوم، ولْيعلم أصحاب الأموال أن المال سببٌ لطغيان كثيرٌ من الناس ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾[العلق: ٦، ٧] فلْيحسِب أصحاب الأموال

حسابهم من الآن بتقوى الله والاستقامة على دينه وإنفاق المال في ما يرضي الله ﷻ. والله المستعان .

٢ - أيها المسلم، إنّ أصحاب السلطان الذين أعرضوا عن الله سيذهب سلطانُهم وسوف يندمون غاية الندم ولن يُغني عنهم سلطانهم يوم القيامة ولا جُنودهم ؛ ولذا عليهم أن يتقوا الله وأن يجعلوا هذا السلطان في مرضاة الله بإقامة الحدود وتحكيم شرع الله والعدل بين الناس وإعطائهم حقوقهم ولْيجعلوا يوم القيامة نصب أعينهم وعليهم :

(أ)أن يتّقوا تعذيب الناس بغير حق، فقد قال ﷺ في حديث هشام بن حكيم رضي الله عنه : «**إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**» رواه مسلم .

(ب) أن يحذروا من الوقوع في الصنف الذين معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، وقد قال ﷺ : «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**» رواه مسلم .

(ج)أن ينظروا في من كان صاحب سلطان فمات وذهب، أين سلطانه ؟ لقد ترك سلطانه وذهب عنه ؛ ولذلك تُرك في قبره ليس معه إلا عمله، فليس معه مال ولا ولد ولا صديق ولا سلطان ولا وجاهه ولا منصب . والله هو الموفق .

(د) المال والشرف والمناصب والجاه هي أفسد لدين العبد، كما قال ﷺ

في حديث كعب بن مالك ﷺ : « **مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ** » رواه أحمد والترمذي (صحيح) .

يا أصحاب المال والجاه والمناصب، انتبهوا ! واتقوا الله في أموركم .

٣ - ايها المسلم : إنّ طعام أهل النار (غسلين) قد قيل أنّه الزقوم، وقد قال ﷺ في حديث ابن عباس ﷺ : « **لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ** » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة (صحيح) .

٤ - أخي المسلم : إنّ الصداقات والمحبة إن كانت لغير الله فإنّها لا تنفع صاحبها يوم القيامة ؛ ولذلك اجعل صداقتك ومحبتك لوجه الله الكريم، وافهم ثمرة ذلك، كما قال ﷺ في حديث السبعة الذين يُظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم : « **وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ** » رواه الشيخان . والله الموفق .

❀ ❀ ❀

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

التفسير :

فأُقسم بكل ما تشاهدونه من المخلوقات، وأُقسم بكل ما لا تشاهدونه من المخلوقات إنّ هذا القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله محمد ﷺ، وأنّه قد بلّغه الرسول الكريم محمد ﷺ إلى من أُرسل إليهم، وما هذا القرآن بكلام شاعر كما تفترون، ولكن كلام الله حقّاً ولكن تصديقكم بالحق قليل، وما هذا القرآن بقول كاهنٍ وسجعه، ولكنه كلام الله حقّاً ولكن تذكّركم قليل، فلو تذكّرتم كثيراً بالتفكر في القرآن لعلمتم أنه كلام الله، ولكن هذا القرآن مُنزّلٌ من رب العالمين على رسوله محمد ﷺ لِيُبلِّغه إلى من أُرسل إليهم، ولو نسبَ إلينا محمدٌ ﷺ بعضاً من الأقوال لم نَقُلْه – وحاشاه ﷺ من ذلك –

لانتقمنا منه باليمين باطشين به، ثمّ لقطعنا منه نياط القلب فيهلك - لأنه إذا قُطع عرق القلب مات الإنسان - فما يقدر أحدٌ منكم أن يمنعه من عقابنا أو يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من العقوبة، وإنّ هذا القرآن لعظةٌ وعبرةٌ عظيمةٌ للمتقين الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وإنا لنعلم أن بعضكم يُكذّب بهذا القرآن مع بيانه ووضوحه وقوة حُجّته، وسنجازيهم على تكذيبهم .

وإنّ التكذيب بالقرآن لندامةٌ على الكافرين يوم القيامة حينما يرون عاقبة تكذيبهم بدخولهم النار .

وإن هذا القرآن هو الحق الثابت الذي لا شك فيه، فهو كلام الله الذي نزّله على رسوله محمد ﷺ بالحق مصدقاً لما بين يديه، فنزّه الله وقدّسه مما لا يليق به مما ادّعاه المشركون وغيرهم من نسبة الصاحبة والولد والبنات والأنداد وغير ذلك

إلى الله، تعالى الله عمّا يقولون، فهو سبحانه العظيم في ذاته وربوبيته وأُلوهيّته وأسمائه وصفاته .

بعض الدروس من الآيات :

١ - القرآن كلام الله ﷻ حقيقةً ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء:١٩٢]، وإضافته إلى رسول الله ﷺ في هذه الآية﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ هو إضافة تبليغ وليست إضافة إنشاء، ويدلّ لذلك قوله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : « **أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي** » رواه الترمذي وابن ماجة (صحيح)، وكذلك إضافة القرآن إلى جبريل عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير:١٩-٢٠] هي إضافة تبليغ ؛ فإن جبريل عليه السلام بلّغه إلى محمد ﷺ ومحمد ﷺ بلّغه إلى من أُرسل إليهم .

٢ - رسالة إلى من يتكلّم في المسائل الشرعية وإلى طلاب العلم :

إن كل متقوِّل على الله ما لم يقله، فإنّ الله سوف يُهلكه ؛ ولذلك يجب على العبد أن يتقي الله ﷻ فلا ينسب إلى الله ما لم يقله أو ينسب إلى دين الله ما ليس منه .

وعلى طالب العلم :

(أ) أن لا يتكلم في مسألة إلا بما علم فيها من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ والفقه فيهما، وإذا أفتى بحديث فليكن عالماً بصحته، فإن كان الحديث غير صحيح فلا ينسبه إلى رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ** » رواه ابن ماجة (صحيح) .

اجعل هذا الكلام أخي طالب العلم نصب عينيك . والله الموفق .

(ب) إذا كان طالب العلم ليس فقيهاً متضلّعاً في الفقه ؛ فلينقل ما يحفظه من السنة إلى الفقهاء المتمرسين وله أجرٌ عظيمٌ عند الله على ذلك، وقد قال ﷺ في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه : « **نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** » رواه الترمذي (صحيح) وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « **فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ** » رواه أحمد والترمذي (صحيح) وفي حديث أنس رضي الله عنه : « **فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ** » رواه أحمد وابن ماجة (صحيح) .

٣ - أخي المسلم، لنكثر من تسبيح الله (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) و (سبحان ربي العظيم) وكل ما ورد من التسبيح، وأمّا في الركوع للصلاة فيُشرع أن يسبح فيقول : سبحان ربي العظيم، وفي السجود : سبحان ربي الأعلى ؛ لحديث حذيفة رضي الله عنه : « **أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَفِي سُجُودِهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ وَسَأَلَ وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ** » رواه الترمذي (صحيح) . وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه : « **فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا رَكَعَ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا وَإِذَا سَجَدَ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا** » رواه أبو داود (صحيح) .

٤ -من صفات الرسول محمد ﷺ (كريم) كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فهو كريم على ربه عز وجل وكان أكرم الناس، وفي حديث أنس رضي الله عنه : (وَكَانَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ أَوْ سَكَتَ) رواه أحمد والحاكم (صحيح) . وفي حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَكَادُ يَسْأَلُ شَيْئًا إلا فَعَلَهُ) رواه الطبراني في الكبير (صحيح) . وقد قال الله ﷻ عنه ﷺ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم:٤] فقد جمع ﷺ كل خلق عظيم .

* * *

تفسير سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾

التفسير :

دعا داعٍ من الكفار مستعجلاً بعذاب الله على نفسه وقومه، والعذاب واقعٌ بهم في الآخرة لا محالة، فلم الاستعجال في نزوله في الدنيا ؟ .

وهذا العذاب الذي سيقع بالكفار لا دافع له ولا مانع له من الله ولا حائل يحول بين الكفار ونزوله بهم إذا أراد الله كونه، وهذا العذاب هو من الله ذي العلو والدرجات والفواضل، تصعد الملائكة وجبريل إليه – إلى الله – في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا، وهو يوم القيامة، فاصبر – أيها الرسول – على تكذيب قومك وأذاهم لك صبراً لا جزع فيه ولا شكوى .

إنّ الكفار يرون وقوع العذاب وقيام الساعة بعيد الوقوع مستحيلاً، فهم لا يؤمنون به، ونرى أن يوم القيامة والحساب قريب، وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله، يوم تكون السماء مثل بقية الزيت المترسبة في سيلانها وذوبانها، وتكون الجبال مثل الصوف المنفوش في خفَّتها، وفي يوم القيامة لا يسأل القريب قريبه عن حاله بل كلٌ مشغول بنفسه، يبصر القرابة بعضهم بعضاً ويعرف بعضهم بعضاً ولكن لا ينفعه، يود المجرم على نفسه بالكفر والذنوب أن يفتدي من عذاب يوم القيامة بأبنائه لينجو بنفسه مع أنهم أحب الناس إليه، ولن يحصل له ذلك الافتداء، ويود أن يفتدي من العذاب بزوجته وأخيه، ولكن هيهات ! ويود أن يفتدي من العذاب بعشيرته التي تضمه وقبيلته وفخذه الذي هو منهم، ويود لو يفتدي من العذاب بجميع من في الأرض من الناس والمال وغير ذلك حتى ينجو من عذاب الله، وهيهات ذلك، لا حصول له على ما تمناه ولْيرتدع عن ذلك، فإنما هو وارد نار جهنم التي تلتهب وتتوقد من شدة حرها، ومن شدة حرها فإنها تنزع جلدة الرأس والبدن والوجه، وتشوي كل شيء فيه بشدة، تدعو النار إليها أهلها ممن جعل الإيمان وراءه وأعرض عن طاعة الله ورسوله، وجمع المال بعضه على بعض في أوعيته ولم يُخرج منه ما أوجب الله عليه فيه .

إنّ الإنسان جُبِل على الهلع ؛ وذلك أنه إذا أصابته المصائب اشتدَّ جزعه وقلَّ صبره، وإذا حصل على الخير والنعم من الله، منعها عن غيره وبخل بها فلم يُخرج منها حق الله تعالى الذي أوجبه عليه فيها، إلا الذين أقاموا الصلوات كما شرعها الله ﷻ فهم الذين عصمهم الله ووفّقهم لهداه .

بعض الدروس من الآيات :

١ - يحرم على العبد أن يسأل عذاب الله، كما يحرم عليه الدعاء على نفسه، وقد قال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : « **لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ** » رواه مسلم . لكن يُشرع أن يسأل العبد العافية من الله، كما قال ﷺ في حديث ابن أبي أوفى : « **أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ... الحديث** » رواه الشيخان.

٢ - أخي المسلم، كن صابراً، وتخلّق بهذا الصبر في حياتك، في دعوتك إلى الله، في القيام بطاعة الله وترك معاصيه، على المصائب، ولْيكن صبرك جميلاً، واعلم أن الصبر خُلُقٌ رفيع ، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **ما رُزق عبدٌ خيراً له ولا أوسعَ من الصّبر** »رواه الحاكم (صحيح) .

٣ - أخي المسلم، إن يوم القيامة مقداره خمسون الف سنة، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لمّا ذكر من منع حق البقر والغنم وفيه :« **تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ... الحديث** » رواه مسلم .

أخي، خذ لذلك اليوم عُدته وأخرج ما أوجب الله عليك من المال، وقم بحقوق الله وحقوق عباده، واستعدّ لآخرتك من الآن .

٤ -أخي المسلم، إن الولد والزوجة والأخ والقبيلة والعشيرة والفخذ وكل

من في الأرض، كلهم لا يملكون لي ولك شيئاً، بل كل منهم يوم القيامة إنّما يهمه شأن نفسه، وفي حديث الشفاعة أنّ الرسل يقول كل واحد منهم : (نَفْسِي نَفْسِي) حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول : « **أُمَّتِي يَا رَبِّ ... الحديث** » رواه البخاري .

فإذا كنا أنا وأنت عقلاء، فلْنهتمّ بانفسنا من الآن (النَّجاء النَّجاء) ولْيفكّر كل واحد منا في فكاك رقبته من النار .

- ومما يتعلق بالولد والأخ والزوجة والأهل والخلق والمال :

(أ) لنحذر من طاعتهم في معصية الله عزّ وجلّ ؛ فإنهم يوم القيامة لن ينجوك أو ينجوني من عذاب الله، فلْنكن حازمين في التعامل معهم، بحيث يكون التعامل معهم قد ضبطناه بكلام الله وكلام رسوله ﷺ مع التفضّل والخير والعطاء لهم في حدود طاعة الله عزّ وجلّ .

(ب) يُشرع للعبد المسلم أن يُنفق من ماله ؛ ليكون ماله له، ولا يتركه كله للوارث وقد حرم نفسه منه وتركه كله مجموعاً للزوجة والولد والقريب ؛ ولذلك أيها المسلم :

س١: ما الذي لك من مالك، وما الذي ليس لك ؟.

ج١: الذي لي من مالي هو : ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدّقت فأمضيت، وما كان غير ذلك فهو للناس .

س٢ : ما هو الدليل ؟

ج٢ : قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **يَقُولُ الْعَبْدُ مَالِي مَالِي إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ**

ثَلاثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ » رواه مسلم .

س٣: أيهما أحب إليك، مالك أم مال وارثك ؟

ج٣: إن مالي أحب إلي من مال من يرثني .

س٤ : فما هو مالك إذن ؟ وما هو مال وارثك ؟

ج٤ : مالي هو ما قدمت، ومال وارثي ما أخّرت، لقوله ﷺ : « **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ** » رواه البخاري .

س٥ : تسألني : ماذا تريد بهذه الأسئلة ؟

ج٥ : أُجيبك : أريد أن تعي ما قلتُه لك ؛ فتُنفق من مالك من الآن ؛ ليكون لك عند الله في ميزان حسناتك ؛ ولِتكون أسعد بمالك . والله الموفق .

٥ - الحذر من الهلع، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ** » رواه أحمد وأبو داود (صحيح) .

- شحٌّ هالع : بخل شديد .

- جبن خالع : يخلع القلب من شدته .

* * *

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾

إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير :

هذه صفات المصلين، الذين هم مداومون على صلاتهم، محافظون على أوقاتها وأركانها وشروطها وواجباتها، ولا يقطعون الصلاة ما داموا أحياءً يعقلون، والذين في أموالهم جزءٌ معيّن وهو الزكاة المفروضة فيؤدونها بطيبة نفس منهم لطالب الصدقة والمحتاج المتعفّف عن السؤال، والذين يُصدّقون بيوم البعث والجزاء والحساب ؛ فيستعدّون له بكل عمل صالح، والذين من عذاب الله خائفون وجِلون ؛ فيمتثلون أمر الله وينتهون عمّا نهاهم عنه .

إنّ عذاب الله لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره، بل تراه حذراً من عذاب الله، قائماً بما أمره الله به، تاركاً ما حرّمه عليه خوفاً من عذابه .

والذين هم لفروجهم صائنون كافُّون عن الحرام خوفاً من الله ﷻ، إلا على أزواجهم أو من يملكون من الإماء، فإنهم لا بأس عليهم فيهم ؛ لأنهن ممن أباحهن الله لهم، فمن سعى لقضاء شهوته في غير زوجاته وإمائه، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام، المُعتدون في ما حرّم الله عليهم .

والذين إذا ائتُمنوا لم يخونوا، وإذا عاهدوا لم يغدروا، وإذا عاقدوا وفوا.

والذين هم محافظون على شهاداتهم لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها، بل يؤدّونها كما أمرهم الله . والذين هم على صلاتهم يُحافظون عليها كما شرعها الله لهم، ويؤدونها على أكمل وجه، أولئك المُتّصفون بتلك الصفات في جنات النعيم، قد أكرمهم الله بها وأحلّ عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم بعده أبداً، ولهم في تلك الجنات ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وهم فيها خالدون .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، ليدرس كلُ واحد منّا نفسَه في الصفات المذكورة في هذه الآيات ﴿ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ ولْيقم بها مُطبّقاً غير مُخل بها ؛ ليحصل على الفوز العظيم بفضل الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾.

٢ - في قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ دليل على تحريم الاستمناء، فعلى المسلم أن ينتبه لذلك، وعلى الشاب الذي لم يتيسر له النكاح أن يبتعد عن الاستمناء (العادة السرية) ولْيصم ؛ لقوله ﷺ : « **يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» رواه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

٣ - وجوب حفظ الفرج من الوقوع في الحرام .

ومن وسائل حفظ الفرج :

- عدم الخلوة بالأجنبية، وعدم اختلائها بالرجل الأجنبي سواء كان سائقاً

أو عاملاً أو أخاً للزوج، وقد قال ﷺ في حديث عقبة بن عامر ﷺ :« **لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ** » رواه أحمد والترمذي (صحيح) . وقد قال ﷺ : « **الْحَمْوُ الْمَوْتُ** » رواه الشيخان . [الحمو : أخو الزوج] .

- غضّ البصر عن الحرام سواء في القنوات أو في الشارع أو غير ذلك .

- عدم سفر المرأة إلا بمحرم، فكل ما يؤدي إلى الزنا فهو طريق إلى الحرام، فهو محرّم .

٤ - أخي المسلم، أُوصي نفسي وإياك بتقوى الله وحفظ الأمانة التي ضيّعها الكثير من الناس، والأمانات كثيرة، وهي كل ما أوجب الله عليّ عليك .

ومنـها :

(أ) أمانة الأموال ونحوها : فلا تكاد تجد الشخص الأمين فيها في هذا العصر، فقد ضُيِّعت، وتجد الكثير من الناس خونة في الأمانة إلا من رحم الله، وفي حديث حُذيفة ﷺ قوله ﷺ : « **فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ... الحديث** » رواه الشيخان .

أخي، جاهد نفسك في أداء الأمانة في البيع والشراء والمعاملة وعدم الغش، وأداء الأموال إلى أهلها، وادعُ الله ﷻ مستعيذاً به من الخيانة، وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ** » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة (صحيح) .

(ب) ومن الأمانة إذا حدثك الشخص بحديث ثم التفت فهي أمانة فلا تحدث به أحداً ؛ لقوله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : « **إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ** » رواه ابو داود والترمذي (حسن) .

٥ - أخي المسلم، إذا عمل احدنا عملاً من الصالحات المسنونات، فإنه يُشرع له المداومة عليه ؛ لقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها : « **وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** » رواه الشيخان . قالت : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ) رواه مسلم .

٦ - رسالة إلى الذين يؤدون الشهادة في المحاكم أو غيرها :

اتقوا الله واعلموا أن الشهادة التي تؤدونها سوف تُسالون عنها يو م القيامة، فلا يشهد أحدكم إلا على شيء يعلمه برؤية أو سماع او استفاضة، ولْيَقل للقاضي أو من شهد عنده : أنا سمعت أو رأيت أو كذا وكذا، بحيث لا يتكلم إلا بما عنده حقيقةً، ولا يزيد ولا ينقص، ولْيحذر من الشهادة من أجل أنها لزميلي أو صديقي أو لشخص من الجماعة وهي ليست على علم ومعرفة، حتى في شهادة التعريف وبعض الأمور التي يتساهل بها الناس، كمن يشهد في حصر الورثة وهو لا يدري عن الورثة ولا يعرف ذلك، أو من يشهد بصلاحية شخص للولاية على الأطفال والمجانين وهو لا يعرف من شهد له بصلاحيته أم لا، وهكذا، فاجعل هذه الآية – أخي - نصب عينيك ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴾ وتذكر يو م العرض على الله . والله الموفق .

* * *

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

التفسير :

فما لهؤلاء الكفار – أيها الرسول – قد أداموا النظر إليك مُحدقين بأبصارهم، وقد شردت قلوبهم عنك مستنكرين ما جئتهم به، وقد تحلّقوا عن يمينك وشمالك جماعات متفرقة، يسأل بعضهم بعضاً : ماذا قال هذا الرجل ؟

هل يطمع كل واحد منهم أن يدخله الله جنة النعيم مع فرارهم عن الرسول ﷺ ونفرتهم عن الحق ؟ كلا ! بل مأواهم جهنم، ليس الأمر كما يطمعون، بل مأواهم جهنم .

إنا خلقناهم من المني الضعيف، وإنّما دخول الجنة بالإيمان والعمل الصالح لا بالأصل .

فأُقسم برب مشارق الشمس والقمر والنجوم ومغاربها (يُقسم الله عزّ وجلّ بنفسه) إنني قادر على كل شيء، وعلى أن نُبدّل خيراً من هؤلاء الكفار بقوم يُطيعوننا ولا يعصونا، وما نحن بعاجزين عن ذلك ولا عن بعث الخلق بعد موتهم، فإنّا قادرون على كل شيء . فَدَعْ – أيها الرسول – الكفار يخوضوا في تكذيبهم وكفرهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة للجزاء والحساب

؛ فسيعلمون عاقبة كفرهم ويذوقون وبال عملهم، يوم يقومون من القبور - إذا دعاهم الله تبارك وتعالى لموقف الحساب - ينهضون مسرعين كما كانوا في الدنيا يسرعون إلى آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، خاضعةً أبصارهم تغشاهم ذلة ومهانة لمّا رأوا العذاب، ذلك يوم القيامة الذي كانوا يُوعدون به في الدنيا، وإنهم سيُجازون فيه بأعمالهم ويُعذّبون على كفرهم، فكانوا يُكذّبون به وهو الآن حقيقة يرونها بأعينهم .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم، سوف نخرج من القبور يوم القيامة، لكن أنا وأنت هل فكّرنا في القبور وما يحصل فيها من العذاب والنعيم ؟ إنّ منظر القبر فظيع ، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ** » رواه الترمذي وابن ماجة (حسن) .

إذا وقفت على القبر تفكّر في حالك إذا نزلته لتُدفن فيه، وعُد إلى بيتك مُصلحاً من عملك وقولك وبقية عمرك، واعلم أن القبر أول منازل الآخرة، كما قال ﷺ في حديث عثمان رضي الله عنه : « **إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ** » رواه الترمذي وابن ماجة (حسن).

واستعذ أخي بالله من عذاب القبر، كما قال ﷺ : «**وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» رواه الشيخان .

٢ -إن الكفار قد فُتنوا بالدنيا واللعب فيها، فيا أخي، لنحذر من هذه الدنيا

أن تذهب بنا عن طاعة الله إلى معاصيه، وقد قال ﷺ : « **اتَّقُوا الدُّنْيَا... الحديث** » رواه مسلم . كما أنه يُشرع لنا التعوّذ بالله من فتنة الدنيا، كما قال ﷺ في دعائه :

« **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» رواه النسائي والترمذي وللبخاري نحوه .

٣ - أيها المسلم، ليس دخول الجنة بالأماني والطمع ، ولكن :

(أ) لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة كما قال ﷺ، فعلينا بالإيمان والعمل الصالح حتى نلقى الله عزوجل .

(ب) عامة من يدخل الجنة المساكين، وعامة من يدخل النار النساء، كما قال ﷺ في حديث أسامة بن زيد : « **قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ** » رواه الشيخان .

* * *

تفسير سورة نوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

التفسير :

إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أن حذِّر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب مؤلم موجع إن لم يوحِّدوا الله ويؤمنوا برسالتك، قال نوح : يا قوم إني مُحذِّرٌ لكم تحذيراً واضحاً بيّناً من عذاب الله، أن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وافعلوا ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه إذا أردتم النجاة والفوز في الدنيا والآخرة، فإذا فعلتم ما آمركم به ؛ يغفر الله لكم ذنوبكم ويعفوا عن سيئاتكم ويمد في أعماركم ويؤخركم إلى نهاية آجالكم ولا يعاجلكم بالعقوبة، إنّ أجل الله إذا حان نزوله فإنّه لا يؤخر عن وقته، لو كنتم تعلمون ذلك لبادرتم إلى طاعة الله قبل حلول النقمة، فبادروا إلى طاعة ربكم وترك مخالفته .

قال نوح : يا رب إني دعوت قومي إلى عبادتك بالليل والنهار مستمراً ولم أنقطع عن ذلك، فلم تزدهم دعوتي إياهم إلى عبادتك وحدك لا شريك لك إلا شروداً عن الحق وإعراضا عنه، وإني كلما دعوتهم إلى عبادتك لتغفر لهم ذنوبهم ؛ سدّوا آذانهم بأصابعهم لئلا يسمعوا الحق الذي أدعوهم إليه، وتغطوا بثيابهم حتى لا يروني، واستمروا على الكفر، واستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، ثم إني دعوتهم جهرةً بين الناس في نواديهم ومجالسهم، ثم إني أعلنت لهم بالدعوة ورفعت صوتي ظاهراً علناً، وأسررت لهم بالدعوة إسراراً بيني وبينهم ؛ فاتخذت كل الأساليب معهم لتكون انجع فيهم، فقلت لقومي : استغفروا ربكم وارجعوا إليه عمّا أنتم فيه فإنّه غفّارٌ لمن عاد إليه واستغفره وتاب إليه، فإن استغفرتم الله صادقين فإنه يغفر لكم ويُنزل عليكم الأمطار المتواصلة المتتابعة المفيدة، ويعطيكم الله الأموال المباركة والبنين الصالحين والعيش الهنيء، ويُنبت لكم البساتين الجميلة والحدائق الغنّاء التي يتخللّها الله بالأنهار العذبة المُطّردة .

بعض الدروس من الآيات :

١ - مشروعية الدعوة إلى الله عزوجل بتخويف وتحذير المدعوين من عذاب الله، وهذا يتناول :

(أ) دعوة الكفار إلى الله، وتحذيرهم من عذابه إن أعرضوا ولم يستجيبوا، وقد جمع النبي ﷺ قريشاً وقال لهم : « **إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** » .

(ب) دعوة العصاة من المسلمين، وتحذير العاصي من عذاب الله على تلك الذنوب التي عند العاصي، وذلك كالتحذير من الربا والتحذير من التبرج

والسفور ومن الظلم وغير ذلك، كما قال ﷺ في المصوّر : « **مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ... الحديث** » رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما . وكما قال ﷺ في حديث أم سلمة رضي الله عنها : « **مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ** » رواه مسلم .

• أيها الدعاة، ادعوا الناس إلى الله، وبيّنوا لهم أن المُعرِض على خطر، وخوِّفوا وحذِّروا الناس من عذاب الله عز وجل .

٢ - أيها الدعاة، اتخذوا كل الأساليب السليمة لدعوة الخلق إلى الله (سرّاً) كما كان ﷺ في مكة، وهذا إذا رأى الداعية أن المدعو ينفع معه أن يُسِرّ إليه في دعوته بينه وبينه، وأن يحذّره من عذاب الله وحده، وأن يبشّره بالخير في كلام سري بينه وبين من يدعوه، وهذه تفيد في دعوة الأشخاص، كدعوة بعض الشباب إلى ترك المخدرات وإلى الإقلاع عن المحرمات ونحو ذلك، أو دعوة الناس (جهراً) من على المنبر في المحاضرة والندوة والدروس، وهي عامة يتحدث فيها الداعية عن (الذنب) والتوبة منه والتحذير من الوقوع فيه، وما يترتب عليه من عذاب الله كما ورد في النصوص الشرعية، كما قال ﷺ لمّا سمع ببعض من يرتكب بعض الأمور : « **مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي** » رواه مسلم .

٣ - أخي المسلم، إذا سمعت الداعية يدعوك إلى الله فتفهّم ما يقول، وأصغ سمعك وانتبه حتى تستفيد، ولا تُعرض عنه بسمعك راغباً عن كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ولا تحاول التّصام عن ذلك ؛ لأن من فعل ذلك فهو متشبه بقوم نوح

ﷺ الذين يضعون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا الحق، وقد قال ﷺ : «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**» رواه أبو داود .

٤ - أيها المسلم، لنكثر من الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ، وقد قال ﷺ : «**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم، إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ**» رواه أحمد (صحيح) .

ليجعل أحدنا الاستغفار والتوبة على لسانه في مشيه وفي بيته وفي حالات كثيرة من حياته .

٥ - من ثمار الاستغفار:

مغفرة الذنوب - كثرة الأمطار - كثرة الرزق والمال - الحصول على البنين - كثرة الثمار والمياه . وللمستغفر أن يطلب من الله باستغفاره أن يغفر ذنبه وأن يرزقه وأن يُمدّه بالبنين والمزارع والمال، فيشرك بطلب بعض أمور الدنيا مع طلب المغفرة، وليس للمستغفر أن يكون استغفاره فقط لطلب المال أو غيره من أمور الدنيا المجردة . والله الموفق .

* * *

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ

وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾

التفسير :

ما لكم –أيها الكفار والمجرمون – لا تعظّمون الله حق عظمته، ولا تخافون من بأسه ونقمته، ولا ترجون ثوابه ورحمته، وقد خلقكم تنتقلون من طور إلى طور : من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة .

ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات، واحدة فوق الأخرى، في دقةٍ عجيبة وإحكام وإتقان ؛ وذلك دالٌّ على قدرته العظيمة . وجعل القمر في السماوات نوراً لأهل الأرض، وجعل الشمس سراجاً مضيئاً يستضيء به العالم مع ما في الشمس والقمر من المنافع للعباد .

والله وحده الذي أنشأ أصلكم من تراب، وهو أبوكم آدم، فإنّ الله خلقه من تراب ثم قال له : كنْ، فكان . ثم يُعيدكم إلى الأرض إذا متّم فتُقبرون فيها، ثم يبعثكم من قبوركم يوم القيامة للحساب والجزاء .

والله صيّر لكم الأرض مفروشة مبسوطة ؛ للعيش فيها والسير في نواحيها ؛ لتسلكوا في الأرض طرقاً واسعة يسهل فيها السير للحصول على منافعكم ومعايشكم في سفركم وإقامتكم .

قال نوح : يا رب، إنّ قومي عصوني في ما دعوتهم إليه ولم يُطيعوني في

ذلك، واتّبع فقراؤهم أغنيائهم في الضلال والتكذيب والإعراض، وسار الضعفاء وراء الرؤساء الذين لم يزدادوا بأموالهم وأولادهم إلا طغياناً وخسراناً، فلم ينفعهم مالهُم ولا أولادهم ؛ لأنهم كفروا بالله فلم ينفعهم ذلك .

ومكر الرؤساء والكبراء بأتباعهم من الضعفاء مكراً كبيراً ؛ في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى، وقال الكبراء والرؤساء للضعفاء : لا تدَعوا عبادة آلهتكم إلى عبادة الله وحده، ولا تتركوا عبادة وَدّ ولا سُواع ولا يغوث ويعوق ونسر، وقد أضلّ المشركون وعُبّاد الأصنام خلقاً كثيراً بعبادة تلك الأصنام ؛ لأنهم دعوا إلى عبادتها وقد استمرّت عبادتهُا قروناً.

قال نوح عليه السلام : يا رب، لا تزد الظالمين أنفسَهم بالكفر إلا بُعداً عن هُداك و وضلالاً عن صراطك المستقيم .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، إن العبد كلما كان مُطيعاً لله كان مُقدِّراً له، وكلما كان عاصياً لله كان غير مُقدِّرٍ له، هل أنا وأنت قدَرنا الله حق قدره ؟ الذي خلقنا في أطوار مختلفة حتى أصبحنا في هذا الخلق (في أحسن تقويم) .

لأدرس نفسي وتدرس نفسك في قيامنا بطاعة الله كما أمر، والانتهاء عن نهيه كما نهى ؛ حتى يحصل لنا تقدير الله حق قدره .

فمن الآن علينا أن نجتهد في ما كُلّفنا به في ذلك، وقد قال ﷺ : « **إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** » رواه الشيخان .

٢ - أخي المسلم، للنظر في هذه الآيات (المخلوقات) السماوات، القمر ونوره، الشمس وضيائها، خَلْقُنا من الأرض، موتنا وبعثنا، الأرض الممهدة المبسوطة، وما فيها من الطرق، قفْ عند كل آية، وتفكّر في هذا الخَلق الدّال على قدرة الله العظيمة ثم عُدْ إلى نفسك مُلزماً لها بطاعة الله والحياء منه، فما أكثر الذين يرون هذه المخلوقات الدّالة على القدرة العظيمة ومع هذا لا يستحون من الله ولا يقدرونه ولا يعبدونه ! بل هم في معاصيه وهم تحت سماواته ويعيشون على أرضه ويأكلون من رزقه، وقد قال ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « **اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ للهِ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ** » رواه أحمد والترمذي والحاكم (حسن) .

والمُراد بأنه ترك زينة الحياة الدنيا : يعني أنها لم تشغله عن طاعة الله ، فمن شغلته عن طاعة الله الواجبة فهو مذموم . والله الموفق .

٣ - أيها الداعية : اعرض على المدعو ما أنعم الله به عليه، وما كان من الأمور الظاهرة الواضحة التي لا تخفى على أحد، ثم بيّن له ما يسّر الله له من الخيرات والنعم والراحة في هذه الحياة على أرض الله وتحت سماواته، وأنه يستمتع بنعم الله وحده الذي أنعم بها على خلقه، فإذا وعى المدعوّ ذلك، قلتَ له : فهذا الذي أنعم عليك بكل شيء، هو الذي يجب أن تطيعه فلا تعصيه وأن تشكره فلا تكفره، وأن تحبه وتخافه، وترجو ما عنده من الثواب والأجر، وتحذر من معصيته

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن :٦٠] .

أيها الدعاة، هذا من أساليب القرآن في الدعوة إلى الله ﷻ فسيروا على منهج القرآن وسنة رسول الله ﷺ في دعوتكم . وفقكم الله ! .

٤ - رسالة مهمة إلى الضعفاء والفقراء :

أيها الضعفاء والفقراء احذروا من متابعة الكبراء والأغنياء في غير طاعة الله وتقليدهم في معصية الله ! فإنهم لن ينفعوكم يوم القيامة، بل يتبرؤون منكم، ولكنهم في الدنيا يضحكون عليكم ويمكرون بكم ليلاً ونهاراً ويُوهمونكم أنهم على الصواب لتسيروا وراءهم وتحذوا حذوهم، فاتقوا الله ! وإذا أشكل عليكم شيء فليس المعيار ما يفعله الغني فلان أو الكبراء في البلد، ولكن عُد إلى سؤال أهل العلم، واعمل كما يُرشدك العلماء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل:٤٣].

٥ - إنّ وَدّاً وسُواعاً ويغوث ويعوق ونسراً هي كما قال ابن عباس ﷺ : «صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ» رواه البخاري .

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

التفسير :

فبسبب كثرة ذنوبهم وإصرارهم على كفرهم أُغرقوا بالطوفان، وبعد غرقهم مباشرة أُدخلوا ناراً يُعذّبون فيها ؛ فلم يجدوا لهم مُعيناً ولا مُغيثاً يُنقذهم من عذاب الله .

وقال نوح لمّا دعا قومه فلم يستجيبوا له داعياً عليهم : يا ربّ لا تترك على وجه الأرض من الكافرين أحداً على قيد الحياة يسكن الدُّور، إنّك يا ربّ إن تركت الكفار أحياء ولم تُهلكهم يصدّوا عبادك عن صراطك المستقيم وعبادتك وحدك لا شريك لك، واتّباع رسلك، ولا يلد الكفار إلا كل فاجر في الأعمال كافر بالقلب - وذلك لخبرة نوح عليه السلام بهم - يا ربّ اغفر لي واغفر لوالديّ واغفر لكل من دخل منزلي وهو مؤمن، واغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات، ولا تزد الظالمين أنفسهم بالكفر إلا هلاكاً وخساراً في الدنيا وعذاباً في الآخرة .

بعض الدروس من الآيات :

١ - يُشرع الدعاء على الكفار:

(أ) بالهلاك، وقد دعا النبي ﷺ على كفار قريش بالسنين (القحط) فقال :

« **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ ... الحديث** » رواه الشيخان .

أيها المسلمون، ادعوا على الكفّار الذين هم حربٌ على المسلمين كما هو مشاهدٌ الآن .

(ب) يُشرع الدعاء على الكفار الذين يشغلون المسلمين عن بعض الفرائض، أو يكون أذاهم أشدّ من ذلك، ويكون الدعاء عليهم كما في حديث علي ﷺ أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب : « **اللَّهُمَّ امْلَأْ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنْ صَلَاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ** » رواه الترمذي (صحيح) .

٢ - أخي المسلم، من الذي يدخل بيتك أو بيتي ؟ ومن هو صاحبي أو صاحبك ؟ إنّ علينا أن نختار ذلك من المؤمنين الأتقياء، وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد ﷺ : « **لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ** » رواه أبو داود وأحمد والترمذي (صحيح) .

٢ - مشروعية الدعاء :

(أ) للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، الصغار والكبار، الذكور والإناث الحي والميت، وغيرهم، وفي الحديث أنه ﷺ كان إذا صلى على الجنازة قال : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا** » رواه الترمذي وابن ماجة (صحيح) .

(ب) الدعاء لأهل الفضل الذين قدّموا للإسلام، ولأبنائهم، ولأبناء أبنائهم، ولنسائهم ولذراريهم، ولذراري ذراريهم، ففي حديث أنس ﷺ أنه ﷺ قال :

«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَلِأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ وَلِنِسَاءِ الْأَنْصَارِ**» رواه الترمذي (صحيح) .ولمسلم نحوه، وفي لفظ : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ الْأَنْصَارِ وَلِذَرَارِيِّ ذَرَارِيهِمْ**» رواه الترمذي (صحيح)، وقد دعا النبي ﷺ لقريش.

(ح) المسلم يشرع له أن يدعو لوالديه ولأهله، ولمن يدخل بيته من المؤمنين، ولأزواجه وذريته وقبيلته وعشيرته المسلمين .

* * *

تفسير سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾

التفسير :

قل – أيها الرسول – إنه قد أُوحيَ إليّ من الله أن نفراً من الجن استمعوا القرآن وآمنوا به وانقادوا له، وقالوا لقومهم : إنّا سمعنا قرآناً عجيباً في بلاغته وفصاحته وبيانه، ينفُذ إلى القلوب ويزكّي النفوس، ويخاطب العقول بأكمل أسلوب وأدقّ بيان وأجمله، وهذا القرآن يهدي إلى السّداد والنجاح ؛ فصدّقنا به واتبعناه، ولن نشرك بربِّنا أحدا في عبادته بل نعبده وحده لا شريك له، وأنّ الله تقدّس وتنزّه وتعالى جلاله وعظمته ما اتّخذ زوجةً ولا ولداً، بل هو أحدٌ صمدٌ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأنّه كان يقول السفهاء منا على الله جوراً وظلماً، فينسبون إليه الصاحبة والولد تعالى الله عن ذلك، وأنّا اعتقدنا أنّ أحداً من الإنس والجن لا يفتري على الله كذباً في نسبة الصاحبة والولد حتى سمعنا هذا القرآن

وآمنّا به فعلمنا أن الإنس والجن يكذبون على الله في ذلك، وأنّه كان رجالٌ من الإنس يستعيذون برجال من الجن لخوفهم منهم، فزاد الجنُّ الإنسَ خوفاً وإرهاباً وذعراً، وزاد هؤلاء الرجال من الإنس باحتمائهم بالجن إثماً .

وقال الجن لقومهم : وإنّ كفار الإنس اعتقدوا كما اعتقدتم – أيها الجن – أن الله لن يبعث أحداً بعد الموت (لأن الكفار ينكرون القيامة والبعث) أو لن يبعث الله بعد هذه المرة رسولاً كما قال ابن جرير-رحمه الله- وأنّا رقينا إلى السماء كعادتنا لاستماع حديث الملائكة فوجدناها قد مُلئت بالحرّاس من الملائكة الشداد وبالنجوم المحرقة التي يُرمى بها من يستمع من الجن، وأنّا كنّا نتخذ من السماء مقاعد معينة لاستماع حديث أهلها، أما الآن فمن يستمع فإنه يجد له شهاباً مرصداً له فيُحرقه ويُهلكه، وأنّا لا نعلم هل هلاك ومصائب وشرور أُريد بمن في الأرض بهذا التغيّر في السماء ؟ أم أراد الله بأهل الأرض خيراً وصلاحاً وهدى .

بعض الدروس من الآيات :

١ – القرآن كلام الله، الذي لا تفنى عجائبه ولا يَخلق عن كثرة ترديد قراءته، وقد بلغَ في البلاغة والفصاحة ما لا يمكن وصفه، ومن بلاغته أنّه أُنزل على سبعة أحرف، كما قال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنه : « **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** » رواه الشيخان .

فمن أراد أن يتعلم البلاغة والفصاحة وحسن الحديث وجمال التركيب في الجمل ومراعاة حال السامع ؛ فعليه بقراءة القرآن، ومن أراد أن يتعلم النحو وما يتعلق به ؛ فعليه بالقرآن فهو حجة بلا منازع ، ولذلك يا أخي، إنّك تجد من قرأ

القرآن قراءةً صحيحةً ؛ أجمل عبارة وأدقّ في خطابه وأبعد عن اللحن في كلامه، وإن على المعلمين أن يعتنوا بالقرآن في تدريس البلاغة بجميع علومها (البيان، المعاني، البديع) ، وأن يربطوا الطلاب بالقرآن، بأن تكون الأمثلة من القرآن، وكذلك يعمل معلمو النحو والأدب وغيرهم ممن له علاقة بالقرآن، فما ذكرته هو رسالة إلى المعلمين أن يعملوا به حسب الاستطاعة ؛ لما في ذلك من تفهيم الطلاب هذا القرآن، فإنه إذا أُعطي آية من درسٍ تفهّم معناها واستفاد من ذلك، وبذلك يدخل معلم البلاغة والنحو ونحوهم بالنية الصادقة في تعليم القرآن تحت قوله ﷺ : (**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**) رواه البخاري .

٢ - إنّ هذا القرآن ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ في العقيدة والأعمال والأخلاق والمعاملات والآداب، فهل أنا وأنت قرأنا هذا القرآن وعملنا بما فيه، فاهتدينا بهديه، وتمسّكنا بآدابه، وملأنا قلوبنا من الفقه فيه ومحبته والإيمان به، وشغلنا كثيراً من أوقاتنا بقراءة القرآن وبالتأمّل والتفكّر والتدبّر في هذا القرآن مطبقين هذه الآية : ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ وغيرها من آيات القرآن ؟

وأنّ رسولنا محمداً ﷺ كان يقرأ القرآن في كثير من الأوقات والأحوال، حتى أنه ﷺ كان يتكئ في حِجر عائشة رضي الله عنها وهي حائض فيقرأ القرآن، وكان يستمع القرآن فيبكي ﷺ، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، فأين نحن من هذا ؟

٣ - وجوب الأدب مع الله عز وجل، ومن الأدب أنه لا ينسب الشر إلى الله سبحانه، كما قال ﷺ : « **وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ** » رواه مسلم . لكن الشر مخلوق فيدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان:٢]، ثم

إنه لم يخلق اللهُ شراً محضاً من جميع الوجوه، فما خلق الله شيئاً إلا وفيه مصالح من بعض الوجوه، ولله حكمة في ذلك فهو الحكيم العليم .

٤ - أيها المسلم، لا تخف من الجن فإنهم مخلوق ضعيف لا يضرون أحداً إلا بإذن الله، لماذا يخاف كثير من الناس من الجن ؟ لقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، فهذا الخوف منهيٌ عنه سواء كان من الجن أو من غيرهم، وهو خوف العبادة، (الخوف الذي فيه انزعاج القلب وخضوعه) أمّا الخوف الطبعي فهذا لا يحرم كالخوف من السبع ونحو ذلك .

٥ - إن أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء من ينسب لله الولد أو الصاحبة أو الشريك أو الفقر أو البخل، كما يفعل اليهود والنصارى والمشركون ومن كان على شاكلتهم من أهل البدع المُكفّرة، فإذا رأيت اليهودي أو النصراني أو الوثني أو المبتدع في دين الله ما ليس منه سواء في باب الأسماء والصفات أو غيره، فليتبادر إلى ذهنك أن هذا أسفه السفهاء، فلا أسفه من هؤلاء، وعليه فالسفه قسمان :

- السّفه الأكبر: وهو ما يخرج به صاحبه عن الإسلام فهو (كافر) .
- السّفه الأصغر: وهذا بحسب حال الشخص، فالناس الواقعون فيه متفاوتون ما بين مستقل ومستكثر (أصحاب المعاصي هم الداخلون في هذا السّفه، فهم سفهاء، كالظّلمة للناس، وشاربي الخمور، وأصحاب المخدرات، والكَذَبة، والخَوَنة، وأصحاب القنوات الهدامة، والمطربين والممثلين، وآكلي

الربا، والعاملين في المؤسسات الربوية بالمعاونة والكتابة ونحو ذلك، والمسبلي ثيابهم وسراويلهم ومشالحهم، والذين يسعون وراء النساء للزنا والفجور، وكالنساء المتبرجات، وكالموظفين الذين يتأخرون عن أعمالهم بلا عذر أو يماطلون في أعمالهم ولا ينجزونها، وآكلي الرشوة ونحو ذلك .

• أخي المسلم، هل أنا وأنت نحمي أنفسنا من هذا السفه ؟

إن هذا السفه كله قد نهانا الله عنه في ديننا، وقد قال ﷺ : « **فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ... الحديث** » رواه البخاري .

فلنقل صادقين مطبقين : انتهينا انتهينا .

* * *

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾

التفسير :

وأنا – نحن الجن – منا المؤمنون الصالحون الأخيار الأتقياء، ومنا الكفار

والفسّاق وأهل البدع، كنا مذاهب متفرقة وآراء مختلفة، وأنا اعتقدنا أنّا لن نفوت الله في الأرض، بل نحن في قبضته وتحت قهره وسلطانه، ولن نستطيع الهرب من الله في السماء إذا أرادنا بسوء أو هلاك، وأنّا لما سمعنا القرآن آمنا به واتبعناه، فمن يؤمن بربه فيعبده وحده لا شريك له فلا يخاف نقصاً من حسناته ولا زيادةً في ذنوبه يُعاقب عليها، وأنّا منّا المستسلمون لله المنقادون له، ومنّا الجائرون عن الحق الناكبون عنه، فمن استسلم لله وخضع له فأولئك طلبوا لأنفسهم النجاة والفلاح، وأمّا الجائرون عن الحق فكانوا وقوداً تُسعّر بهم نار جهنم، وأن لو استقام الكفار على طاعة الله والانقياد له واتّبعوا رسوله ﷺ لأسقيناهم ماءً طهوراً مدراراً، ووسّعنا عليهم أرزاقهم وباركنا لهم فيها؛ لنختبرهم ونبتليهم فيه فنعلم من يستمر على طاعة الله ويشكر الله، ومن يرتدّ إلى الغواية ويكفر نِعَمَ الله عليه.

ومن يعرض عن دين الله وكتابه وسنة رسوله ﷺ يُدخله الله عذاباً شديداً موجعاً شاقاً لا راحة معه.

وأن المساجد لله وحده، وإنما بُنيت لعبادته وذكره، فلا تعبدوا مع الله أحداً، بل العبادة كلها لله دون سواه.

وأنه لما قام رسول الله ﷺ ليلة الجن يدعو ربه في الصلاة كاد الجن أن يركبوه تزاحماً عليه من شدة حرصهم على استماع القرآن.

قل - أيها الرسول - للكفار: إنما أعبد ربي وحده ولا أشرك في عبادته أحداً سواه.

بعض الدروس من الآيات :

١ - إن في الجن الصالحين وغير الصالحين، ويجب على الجن عبادة الله وحده لا شريك له واتباع رسوله ﷺ، والانتهاء عمّا نهى عنه الله ورسوله ﷺ، وأن يجعلوا هذا نصب أعينهم، وأن يعلموا أن من أعرض عن الله فهو من أهل جهنم، ومن أطاع الله دخل الجنة، كما قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥] وهي عامة للإنس والجن، ويحرم على الجن ظلم الإنس والتعدي عليهم في بيوتهم أو طرقهم أو بالتعامل مع السحرة والكهان أو بالعشق للإنس أو غير ذلك، كما يحرم عليهم أن يظلم بعضهم بعضاً وعليهم التنبُّه لذلك .

٢ - ذم أهل البدع (الأهواء) سواء كانت في الإنس أو في الجن، وعلى الإنس والجن البعد عن الأهواء، وعليهم لزوم صراط الله المستقيم (النقي من الشرك والبدع) وعليهم اجتناب المعاصي، وقد قال ﷺ : « **مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ** » رواه الشيخان .

٣ - وجوب صيانة المساجد من :

(أ) صيانتها من الشرك ووسائله، فيحرم دفن الموتى فيها، ويحرم بناء المساجد على القبور، وقد قال ﷺ : «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» رواه الشيخان . ومن ذلك تحريم التصوير في المساجد لأنه من وسائل الشرك .

(ب) صيانتها من القذر ؛ لقوله ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه : « **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** » رواه مسلم .

(ج) صيانتها من البيع والشراء وإنشاد الضالة ونحوها، وتبقى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك .

٤ - وجوب السجود على الأعضاء السبعة ؛ لقوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « **أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ الْجَبْهَةِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَلَا الشَّعْرَ** » رواه الشيخان .

فعليه :

(أ) من سجد على ستة أعضاء بلا عذر كمرض، فإن سجوده لا يصح وتبطل الركعة إن كان ناسياً، وإن تعمد بطلت صلاته فرضاً أو نفلاً .

(ب) يحرم السجود لغير الله، فإن سجد لغير الله كان مشركاً بالله شركاً أكبر.

(ج) يحرم الانحناء (كما يفعل البعض عند التسليم أو تحية لشخص)، وليحذر المسلم من ذلك ! .

(د) تحرم التحية للأشجار والخرق ونحوها، كما يُفعل في بعض العالم اليوم (احذر أخي من ذلك !) .

٥ - أخي المسلم، احرص على الخير وسارع إليه، ومن ذلك : استماع القرآن

والمواعظ، فهؤلاء الجن تجمّعوا على رسول الله ﷺ يستمعون القرآن فكادوا يتلبّدون عليه لتزاحمهم وحرصهم .

❊ ❊ ❊

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

التفسير:

قل – أيها الرسول – للكفار : إني لا أملك لكم هدايةً ولا غوايةً ولا أقدر أجلب لكم نفعاً أو أدفع عنكم ضراً، بل المرجع في ذلك كله إلى الله ﷻ .

قل لهم : إنه لن يدفع عني عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دون الله ملجأً أفرُّ إليه من عذابه غيره، فلا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، إلا أن الذي أستطيعه ويخلصني وإياكم أن أبلّغ رسالة ربي إليكم بعبادته وحده لا شريك له ؛ فتؤمنوا وتطيعوا، ومن يعص الله ويخالف رسوله فإنّ له نار جهنم خالدين فيها أبداً ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] .

حتى إذا رأى الكفار ما يوعدون من العذاب يوم القيامة (وقد وُعِدوا به في الدنيا) فسيعلمون يومئذٍ من هو الذي ضعُف ناصره وقلّ عدده، فلا ناصر له ولا عون معه، أهم أم الله ﷻ ؟ إنهم الأضعف والأقل، والله الأقوى الأكثر، فهو الذي ينصر عباده المؤمنين، وأما الكفار فلا ناصر لهم بالكلية، وهم أقل عدداً من جنود الله .

قل – أيها الرسول – للكفار : إنني لا أعلم هل العذاب الذي توعدون قريب وقوعه بكم، أم يجعل له ربي وقتاً بعيداً، فإنّما أنا نذير لكم ولا علم لي بالساعة متى تقوم، والله هو وحده عالم الغيب فلا يُطلع على غيبه أحداً من الخلق، بل ذلك مختص به لا يعلمه سواه، إلا من رضيه لرسالته من عباده، فإنه يُطلعه على بعض علم الغيب مع الحماية، بأن يجعل رصداً من الملائكة يحفظون ما أمام الرسول وما خلفه من الجن ؛ حتى لا يسترقوا شيئاً من الوحي ومن غيرهم ؛ ليعلم النبي أن الرسل قبله قد بلغت عن الله ما أُوحي إليهم كما بلغ النبي ما أُوحي إليه، وأن الله حفظه بالملائكة من الجن وغيرهم كما حفظهم، وأن الله قد أحاط علمه بما عند الملائكة والرسل، فلا يخفى عليه شيء من خلقه، وأن الله قد أحصى عدد كل شيء، فلا يخفى عليه شي في الأرض ولا في السماء، فهو العليم به كله .

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم، إن علم قيام القيامة لا يعلمه إلا الله، لكن علينا الاستعداد لها من الآن، ولذلك لمّا نادى ذلك الأعرابي النبي ﷺ وقال :يا محمد، أخبرني عن الساعة ؟ قال ﷺ : « **وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ قَالَ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ عَمَلٍ غَيْرَ**

أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قَالَ فَمَا فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ أَشَدَّ مِمَّا فَرِحُوا بِهِ » رواه أحمد (صحيح) .

فلنُعدّ أخي حب الله ورسوله، وذلك بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه .

٢ - إن علم الغيب هو مما تفرد به الله عزّ وجلّ، ولذلك يا أخي لا تصدق الكاهن ولا العرّاف ولا الساحر ولا تأته ؛ لأن الله عزّ وجلّ قد جعل حمايةً لوحيه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام في ما أوحاه إليهم من الغيب الذي خصّهم به، ولمّا سُئل ﷺ عن الكهان قال : «لَا تَأْتُوهُمْ » رواه النسائي وأحمد (صحيح) . فنهى عن إتيانهم وأخبر ﷺ أنه : «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه أحمد (صحيح).

٣ - إن الرسل قد بلّغوا رسالات ربهم، ومنهم محمد ﷺ، فقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .

أخي، لقد بلغنا هذا الدين كاملاً، لكني أنا وأنت ماذا قدمنا لهذا الدين في تطبيقه والعمل به ؟ في نشره والدعوة إليه ؟ في الدفاع عنه ؟ في الفرح به وتربية الأجيال والأسر والبنين والبنات عليه ؟ والاعتزاز به والثبات عليه وعدم التزحزح مهما كان الأمر ؟

وقد أخبر النبي ﷺ أنّ ممن كان قبلنا، من كان يُنشر بالمنشار من مفرقه، ويُمشط بأمشاط الحديد مابين لحمه وعظمه، فلا يثنيه ذلك عن دينه، فيما نحن اليوم يتنازل البعض عن كثير من دينه لأسباب يسيرة وأمور قليلة، والله المستعان .

٤ - أخي المسلم، اعلم أن الله قد أحصى عدد كل شيء، فلا يخفى عليه شيء في هذا العالم كله (في السماوات والأرض)، لنحذر أن يُحصي علينا كثرة الذنوب والمعاصي، ولْنكن أكثر طاعة لله وتقرباً إليه ؛ خوفاً منه ومحبةً له وعملاً في مرضاته وطمعاً في ثوابه وخوفاً من عقابه .

إذا كنّا خائفين من الله فلنسارع إليه مجتهدين في طاعته، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ**» رواه الترمذي والحاكم(صحيح) .

* * *

تفسير سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)﴾

التفسير :

يا أيها المتغطي بثيابه – أي النبي ﷺ لما جاء الوحي لأول مرة في غار حراء، وغطّه الملك، فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق، فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زمّلوني زملوني، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع – قم صلِّ الليل إلا وقتاً قليلاً منه، قم – أيها الرسول – نصف الليل أو انقص من نصف الليل قليلاً إلى ثلث الليل، أو زد – أيها الرسول – في قيام الليل على نصف الليل إلى ثُلُثي الليل، فأنت مُخيّرٌ في ذلك .

واقرأ القرآن على تمهّل ؛ يكون عوناً لك على فهم القرآن وتدبره .

إنا سنُنزّل عليك – أيها الرسول – قرآناً ثقيلاً نزوله من عظمته، وعظيماً لما تضمّنه من التكاليف بالأوامر والنواهي، وثقيلاً يو م القيامة في الموازين .

إنّ الصلاة التي تنشأ بالليل أو بعد نوم من الليل هي أشد مواطأةً بين القلب واللسان، وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهّمها من قيام النهار ؛ لأن النهار وقت انتشار الناس ولغط الأصوات، وأوقات المعاش، وأما الليل فهو أهدأ وأسكن وأفرغ للقلب من النهار .

إنّ لك – أيها الرسول – في النهار فراغاً طويلاً يكفيك لقضاء حوائجك وطلب معاشك وغيرها من أعمالك التي تقضيها بنهارك، ففرّغ نفسك بالليل لربك بالصلاة ونحوها، وأكثر من ذكر ربك وانقطع إليه وتفرّغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك .

والله هو خالق المشرق والمغرب والمالك المتصرف فيهما، لا إله يستحق العبادة سواه، ففوِّض أمرك إليه واعتمد بقلبك عليه، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل عليه دون غيره، واصبر – أيها الرسول – على ما يقول الكفار لك من التكذيب والاستهزاء، وقولهم ساحر أو شاعر أو كاهن وغير ذلك، واتركهم تركاً جميلاً لا عتاب معه ولا انتقام ولا تأنيب، ودعني – أيها الرسول – والمكذبين برسالتك من أصحاب الأموال والترف، وانتظرهم قليلاً من الزمن حتى يأتيهم العذاب ويحلُّ بهم . إنّ لدينا للكفار في نار جهنّم قيوداً ثقيلة، وناراً مضطرمة متوقدة، وطعاماً ينشب في الحلق فلا يدخل ولا يخرج، وعذاباً موجعاً شديداً .

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم، لتحرص على قيام الليل !

وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ**

الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ... الحديث » رواه مسلم . والأفضل أن تكون الصلاة في الليل في الثلث بعد النصف ؛ لقوله ﷺ : « وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ » رواه الشيخان . والأفضل في قيام الليل الإطالة ؛ لقوله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : « أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ » رواه مسلم .

٢ - برنامج ليلي :

أخي، هيئ طهورك وسواكك قبل النوم، أو ليهيئه اهلك ثم نم، فإذا استيقظت تسوّك ثم توضأ ثم صلّ إحدى عشرة ركعة، على ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها وفيه قالت عن رسول الله ﷺ : « كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ فَيَبْعَثُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنْ اللَّيْلِ فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ يَجْلِسُ فَيَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدْعُو ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَةً فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ فَلَمَّا أَسَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذَ اللَّحْمَ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا سَلَّمَ فَتِلْكَ تِسْعُ رَكَعَاتٍ يَا بُنَيَّ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ صَلَّى مِنْ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً » رواه أحمد والنسائي ولمسلم نحوه .

فيا أخي، صلّ من الليل على ما في هذه الحديث، أو صلّ ركعتين ركعتين فإذا خفت الصبح أوتر بركعة ؛ لقوله ﷺ في حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم : « صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى وَالْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ » رواه أحمد . وقال ﷺ في

حديث ابن عمر : «**صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**» رواه الشيخان .

والأفضل أن تنوّع في صلاة الليل على ما جاء في الأحاديث .

٣ - أخي المسلم، رتّل القرآن في صلاتك وقراءتك متمهلاً متفهّماً متدبّراً، وقد قال ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**» رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (صحيح) .

ويا أخي، زيّن القرآن بصوتك ؛ لقوله ﷺ في حديث البراء رضي الله عنه : «**زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة (صحيح) . وقال ﷺ في حديث البراء ﷺ : « **زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا**» رواه الحاكم (صحيح) .

٤ - أخي، لا تقرأ القرآن (كهذّ الشعر)، فقد « **جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ فَقَالَ هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنْ الْمُفَصَّلِ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ**» رواه البخاري .

[المفصّل : من (ق والقرآن المجيد) إلى آخر المصحف(الناس)] .

٥ - أيها الدعاة، اصبروا على ما يأتيكم من الخلق من الأذى، وعاملوهم ببرنامج ((الصبر الجميل)) وإذا هجرتم فليكن ((الهجر الجميل)) وإذا قلتم

((القول السديد)) وهكذا .. ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة:٨٣]، واسعوا إلى استعمال أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الله ﷻ وكل أسلوب ترون أنه مجدٍ ونافع في العمل الدعوي، إلا أن يكون مُحرّماً من الشارع أو يؤدي إلى محرم، فهذا ليس أسلوباً دعوياً صحيحاً .

• ومن أساليب القرآن : أسلوب العرض، أسلوب الحوار، أسلوب القصة، أسلوب النصيحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أسلوب التأديب، أسلوب الاستفهام، أسلوب الحض، أسلوب الجدل، وغيرها .

وهذه الأساليب ترافقها أساليب مساعدة، كأسلوب النداء بالكنية التي يحبها الشخص، أو بالقرابة : كالأب أو غير ذلك مما هو في القرآن والسنة .

٦ - أخي المسلم، إذا أكلت الطعام فتذكّر طعام أهل النار الذي ينشب في الحلق، وإذا شربت الماء فتذكّر الحميم الذي يُسقاه أهل النار فيقطع الأمعاء، فاهرب من النار !! بترك الذنوب وعمل الصالحات . والله الموفق .

***

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ

أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

التفسير :

يوم تزلزل الأرض والجبال زلزالاً شديداً، وصارت الجبال رملاً متناثراً بعدما كانت حجارة صمّاء، وهذا يوم تقوم القيامة .

ثم قال تعالى – مخاطباً كفار قريش وغيرهم – إنّا أرسلنا إليكم رسولاً (محمد ﷺ) شاهداً على أعمالكم في الدنيا من طاعةٍ لله أو معصيةٍ له ؛ لِتُجزوا بها يوم القيامة، كما أرسلنا موسى بن عمران عليه السلام إلى فرعون يدعوه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويشهد عليه بما عمل ؛ ليجزى به . فعصى فرعونُ موسى عليه السلام وكذّبه وردّ دعوته، فأهلكنا فرعون هلاكاً شديداً بإغراقه في البحر، ولآل فرعون عذاب شديد يوم القيامة . فكيف تخافون -أيها الناس- عذاب يوم يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تؤمنوا برسوله (وهو يوم القيامة لما فيه من الهول)؟

السماء منشقةٌ متصدعةٌ من هول ذلك اليوم، كان وعد الله بإتيان هذا اليوم كائناً واقعاً لا محالة ولا محيد عنه .

إنّ هذه الآيات المشتملة على ذكر القيامة وأهوالها، وما فيها من العذاب للمعرضين عن الله لعبرةٌ وعظةٌ، فمن شاء اعتبر واتخذ الإيمان والعمل الصالح

طريقاً إلى مرضاة ربه ونجاة نفسه وفكاك رقبته .

إنّ ربك – أيها الرسول – يعلم أنك تتهجد أقل من ثُلثي الليل، وتصلي نصف الليل تارةً، وتقوم ثلثه تارةً أخرى، ويتهجد معك طائفة من أصحابك كذلك، والله يُقدّر الليل والنهار، باعتدالهما تارةً، والأخذ من النهار في الليل والأخذ من الليل في النهار، ويعلم ما يمضي من ساعات كلٍ منهما وما يبقي .

علم الله أنكم لا تقدرون على قيام كل الليل ؛ لأنه يشق عليكم فخفف عليكم بأن تقوموا ما تيسّر منه، فاقرءوا ما تيسر من القرآن فيما تقومون به في صلاتكم على قدر استطاعتكم .

علم الله أنه سيكون منكم من له عذر المرض عن قيام الليل، ومن هم مسافرون في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجرة، ومن هم مشغولون بما هو الأهم في حقهم من الغزو لإعلاء كلمة الله، فقوموا بما تيسر عليكم من الصلاة وقراءة القرآن، وأقيموا الصلاة المفروضة، وأدّوا الزكاة الواجبة، وتصدّقوا في وجوه البر والإحسان .

وما تعملوا من الخير لأنفسكم من العبادات لوجه الله فإنّكم تحصلون عليه يوم القيامة عند الله وافراً، ويجازيكم عليه أحسن الجزاء، وهو خيرٌ مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا وأنفقتم فيها، وأعظم ثواباً عند الله .

واسألوا الله أن يغفر لكم، فإنه يغفر الذنوب ويرحم من أقبل عليه وتاب إليه وأناب .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، لنتذكر هذه الآيات : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا﴾ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[البقرة: ١٤٣] فإنه ﷺ شاهد علينا بما عملناه من الطاعة أو المعصية، فلا نكن أنا وأنت ممن نأتي يوم القيامة بالذنوب فيشهد علينا رسولنا ﷺ بها، أين الحياء من الله أن نأتي بالمعاصي يوم القيامة والشاهد رسولنا ﷺ ؟

إذن أخي، لنحرص على الطاعات ليأتي رسولنا ﷺ شاهداً لنا بها .

اجعل هذا الموضوع في ذهنك وعلى بالك ومحطّ اهتمامك ! والله الموفق .

٢ - أخي المسلم، لنتذكر يوم القيامة، يومٌ يشيب الصغير من هوله ! فلنستعدّ له من الآن، وقد قال ﷺ : « **يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ قَالَ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ** ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ وفيه **فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا... الحديث** » رواه البخاري وغيره .

٣ - أخي المسلم، لندرس هذه العظة في سورة المزمل ثم نتخذ لنا طريقاً إلى الله تعالى لنجاة أنفسنا وفكاك رقابنا والسعي في ما ينفعنا والمبادرة إلى كل خير ينفعنا في الدار الآخرة .

اخي، لنبادر، أخي، لنجتهد، أخي، لنحذر من الانغماس في النعيم في الدنيا

ونسيان الآخرة، وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد رضي الله عنه : « **كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا** » رواه الترمذي وأحمد وابن حبان (صحيح) .

٤ - إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل يتهجّد، وكذلك أصحابه ؛ لأنهم كانوا يسارعون إلى الخيرات ويتسابقون إلى الجنات، فما هو حظي وحظك من قيام الليل ؟ ولو قياماً يسيراً بحيث يداوم أحدنا عليه، وسواء كان من أول الليل أو وسطه أو آخره ؛ فإنه ﷺ من كل الليل قد أوتر من أوله ووسطه وآخره، وأما القيام، فقد كان ﷺ « **يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ** » رواه الشيخان من حديث المغيرة رضي الله عنه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ : « **كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيُحْيِي آخِرَهُ** » رواه مسلم .

وأفضل قيام الليل قيام داود عليه السلام، كما قال ﷺ : « **كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ** » رواه الشيخان .

أخي، لنجتهد في قيام الليل ! فإنه دأب الصالحين وطريقة المتقين الأخيار : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[الذاريات : ١٧] ويُشرع لأحدنا أن يُوقظ أهله لقيام الليل، ويُشرع للزوجة أن توقظ زوجها لقيام الليل، فإن أبى أحد الزوجين نضح الآخر في وجهه الماء، كما جاء عن النبي ﷺ .

٥ - يُشرع التطوع بسائر العبادات المشروعة (الصلاة، والغزو لإعلاء كلمة الله، قراءة القرآن، الصدقات، وكل الخيرات، وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله)

وليكن التطوع على حسب الاستطاعة بما تيسر، ومهما أقبل العبد على الله، فإن الله يُقبِل عليه، وقد قال ﷺ في حديث عائشة ﷺ : « **اكْلَفُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ** » رواه أبو داود والنسائي وللشيخين نحوه .

٦ - أيها المسلم، إن الله جل وعلا يطلب منا أن نقرضه قرضاً حسناً ! فلنتصدق من أموالنا لوجه الله في كل وجوه الخير، فإنّما ذلك عائدٌ لنا، والله غنيٌ عنّا وعن أموالنا، وليعلم أحدنا أن ماله هو ما قدّم ومال وارثه ما أخّر، فليجعل له من ماله، فيقدّمه أمامه، وقد قال ﷺ : « **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ** » رواه البخاري . وإن المتصدق ليستفيد من صدقته - مع الثواب الجزيل عند الله - أنّه يوم القيامة والشمس على رؤوس الخلائق فهو في ظل صدقته، كما قال ﷺ في حديث عقبة بن عامر ﷺ : « **كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ** » رواه أحمد والحاكم (صحيح) .

أخي، تذكر هذه الآية ﴿ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ فأقرض واجتهد في الإقراض، واستكثر منه، وأبشر بالخلف من الله في الدنيا والثواب عند الله في الآخرة .

٧ - الاستغفار على نوعين :

(أ) الاستغفار الواجب : وهذا يكون عند الذنب، وقد قال ﷺ في حديث عبد الله عمرو ﷺ : « **لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ثم يستغفرون ثم يغفر لهم وهو الغفور الرحيم** » رواه الحاكم (صحيح) .

(ب) الاستغفار المسنون : وهذا في سائر الأوقات .

فلنكن مستغفرين دائماً ! كما كان رسول الله ﷺ . والله الموفق .

تفسير سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾

التفسير :

يا أيها المتلفِّف بثيابه - أي : النبي ﷺ لمّا رجع من غار حراء بعدما جاءه الملك وغطّه، فعاد إلى خديجة وقال : دثّروني - قم مشمّراً عن ساق العزم، وخوّف الكفار عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله ويوحّدوه، وعظّم ربك وقدّسه، ونزّهه عن الشرك وعن النقائص والعيوب والأنداد، واثنِ عليه بما هو أهله، وثيابك فطهّرها من النجاسات، ونفسك نقّها من الذنوب والمعاصي، واهجر الأصنام والأوثان وكل ما يعبد من دون الله وتبرّأ منه، ولا تُعطِ العطية لِتُعطى أكثر منها، واصبر على أداء الطاعات وترك الذنوب وعلى المصائب، واجعل صبرك لوجه الله رغبةً فيما عنده من الثواب .

فإذا نفخ في القرن نفخة القيام لرب العالمين للبعث والحساب، فذلك اليوم

(يوم البعث) يومٌ شديد ؛ لما فيه من الأهوال، على الكافرين غير سهل ولا متيسّر، بل هو عسِر ؛ لما يرونه من الأهوال ويصلونه من العذاب .

أتركني ومن خلقته وحيداً (الوليد بن المغيرة) لا مال له ولا ولد ولا جاه ولا منصب، فكذّبك، فأنا سوف أكفيك إياه، ورزقته مالاً واسعاً كثيراً، ووهبت له أولاداً حضوراً معه لا يغيبون عنه بالتجارات أو غيرها لما أغنيتهم به عن الأسفار في طلب المعاش، ويسّرت له أسباب الرزق تيسيراً حتى بلغ ما بلغ من المال والجاه في قومه، ثم يتمنى ويرغب مع ما أعطيناه أن أزيد في المال والولد لكثرة طمعه وعدم قناعته وشدة حرصه، ليس الأمر كما يحسب هذا الكافر ! فلن أزيده بعد اليوم ؛ لأنه كان لهذا القرآن معانداً، ولرسولنا مكذباً، وللحق جاحداً.

سأكلفه يوم القيامة مشقةً من العذاب الذي لا راحة فيه .

إنه فكّر ما ذا يختلق من المقال في القرآن، وتروّى ذلك في نفسه مُصمماً عليه غير حائد عنه ولا متراجع .فلُعن وأُخزي، وذُلّ وغُلب، كيف قدّر في نفسه وعيّن في ضميره هذا الطعن في القرآن ؟ ثم لُعن لعنةً أخرى وهلك، كيف قدّر وحدّد في نفسه هذا الطعن، وأضمر هذا الشرّ، وعيّن هذا القول في قلبه ؟ ثم نظر فيما قدّر متروِّياً مفكراً فيما جال في نفسه مما أعده ليطعن به في القرآن، ثم قبض بين عينيه وقطّب وكلح وجهه فاسودّ كراهةً لكتاب الله وغيظاً إن لم يجد ما يعيب به القرآن . ثم أعرض عن الحق ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن، فقال عن القرآن نتيجةً لتفكيره وتقديره ونظره : ما هذا إلا سحر، يتعلم من المتقدمين ويحكي عنهم، ما هذا القرآن إلا كلام البشر وليس كلام الله .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، هُبّ من نومتك ! وانتبه من غفلتك ! وقم في دعوة الناس إلى دين الله لنشره في العالم كما كان رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، واجتهد في ذلك حسب استطاعتك، فقد قال ﷺ : «**فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**» رواه البخاري .

وابذل في الدعوة إلى الله شيئاً من وقتك ومالك، وسخّر لسانك وقلمك لهذا العمل، واجعل الدعوة إلى الله همّك وشغلك، كما كان ﷺ، ادع إلى الله في البيت، ادع في الشارع، ادع في المسجد، ادع في العمل، ادع إلى الله في السفينة والباخرة والطائرة والسيارة، ادع إلى الله في السوق وفي المدرسة وفي كل مكان وزمان حتى يأتيك الموت .

٢ - أخي المسلم، كبِّر الله ﷻ، بالقيام بطاعته وتعظيمه وذكره، وقد قال ﷺ في حديث سمرة بن جندب : «**أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ ...الحديث**» رواه مسلم .

فأكثر أخي من هذه الكلمات لما لهنَّ من الفضل .

٣ - أخي المسلم، علينا أن نسعى في تطهير أنفسنا، ومن ذلك تطهير القلوب والنفوس من الذنوب، ومن تطهير القلب :

(أ) التدبر والتفكر في الآيات الكونية (المخلوقات) .

(ب) التدبر عند قراءة القرآن .

(ج) محبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة كل الطاعات، وكراهة الكفر والمعاصي.

(د) دعاء الله عز وجل أن يصلح القلب، ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا...الحديث**» رواه الشيخان من حديث ابن عباس وذلك عند الخروج إلى الصلاة.

(هـ) الاستعاذة من قلب لا يخشع، كما قال النبي ﷺ في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ...الحديث**» رواه مسلم.

لنحرص على القيام بهذه الأمور وغيرها مما يصلح القلب.

٤ - أخي المسلم، جديرٌ بي وبك أن نكون متعففين عما في أيدي الناس، بل نعطيهم ولا نأخذ منهم، ومن ذلك فلا يُعطي أحدنا هبة وهو يلتمس أكثر منها، بل إنما يعطي أحدنا لأخيه العطية لوجه الله، وقد قال ﷺ في حديث ابي هريرة رضي الله عنه: (**تهادوا تحابوا**) رواه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي في الشعب (حسن). ويُشرع لمن أُعطي شيئاً أن يجزي به؛ لقوله ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: «**مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**» رواه أبوداود والترمذي (حسن).

* * *

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا

تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

التفسير :

سأغمر ذلك الكافر الذي قال عن القرآن ما قال في نار جهنم من جميع جهاته، فتحرقه وتشويه، وما أعلمك ما سقر ؟ إنها نار جهنم الملتهبة التي فيها الهول والنكال والخزي والعذاب الذي لا يطاق، لا تُبقي لحماً ولا تترك عصباً ولا جلداً ولا عروقاً، وهم فيها لا يموتون ولا يحيون، مُحرقةٌ للجلد مُسوِّدة له، شوّاية للحم، عليها خَزَنة وهم ملائكة عددهم تسعة عشر من الزبانية، عظيمٌ خلقهم، شديدٌ بأسهم، وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة غلاظاً شداداً لا يُقاومون، وما جعلنا عددهم تسعة عشر إلا اختباراً للكفار، فيكذبون بهم أو يستخفُّون بهم، ولِيحصل اليقين لأهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى أن ما جاء في القرآن مطابقٌ لما في كتبهم السماوية، ويزداد المؤمنون إيماناً مع إيمانهم بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ، ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في صحة ذلك، ولِيقول المنافقون والكفار : أي شيء أراد الله بهذا العدد ؟ فما الحكمة فيه ؟ .

كما أن الله يُضل مُنكر هذا العدد ويهدي من صدّقه وآمن به فإنّه سبحانه يُضل

من يشاء ويهدي من يشاء، وما يعلم جنود ربك من الملائكة في عددهم وكثرتهم إلا هو .

وما نار جهنم التي وُصفت إلا تذكرة للناس وعبرة لِأولي الألباب لِيخافوا عقاب الله وعذابه .

ليس الأمر كما زعموا وأُقسم بالقمر - وهو آية عظيمة (نور في السماوات) - وأُقسم بالليل إذا ولّى بظلامه وأُقسم بالصبح إذا أضاء وأشرق، أن النار لإحدى العظائم الكبار والدّواهي العِظام، وهي نار جهنم، تحذيرٌ وتخويفٌ للناس لِيتذكروا يوم القيامة، ويستعدّوا له بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه، لمن أراد أن يقبل النذارة فيتقرب إلى الله بعمل الطاعات وسلوك سبيل الهدى والحق أو يتأخر بعمل المعاصي لله ورسوله ﷺ وترك طريق الهدى مُعرضاً عنها .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها المسلم، إن الله أنذرنا نار جهنم، وكذلك أنذرنا رسول الله ﷺ تلك النار، وذكر عنها القرآن ما ذكر من الصفات "سقر"، "لا تبقي ولا تذر"، "لوّاحة للبشر"، وغير ذلك . قال النبي ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** » رواه مسلم.

فيا أخي، إنما ذُكر لنا ذلك لِنتعظ ونهرب من النار، فهل هربنا من جهنم إلى الله ؟ ومن ذلك :

(أ) القيام بطاعة الله عز وجل التي أوجبها علينا، وترك ما حرم الله علينا مع

الخضوع لله في ذلك كله وابتغاء مرضاته .

(ب) يُشرع الاستعاذة بالله من عذاب جهنم وعذاب القبر، بل قد يجب في الصلاة، كما قال ﷺ: « **فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**» [رواه مسلم] وهذا يكون بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير.

(ج) يُشرع الإكثار من هذا الدعاء« **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**» فقد كان ﷺ أكثر دعوة يدعو بها هذا الدعاء، رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

(د) يُشرع الاستعاذة بالله من حر جهنم ومن عذاب النار، فقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ** » [رواه مسلم] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : «**سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ** » رواه النسائي .

(هـ) يشرع الاستعاذة من عذاب الله، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**عُوذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ ...الحديث**» رواه النسائي وغيره .

٢ - أخي المسلم،إن جنود الله من الملائكة لا يعلمهم إلا هو، فمنهم :

- ما قال ﷺ في صفة البيت المعمور الذي في السماء : « **وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ ... الحديث** » رواه الشيخان واللفظ لمسلم.

- ما جاء في حديث أبي ذر ﷺ أنه ﷺ قال : «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ**» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة (صحيح) .

- ما جاء في حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ : (إن لله تعالى ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل، قالوا: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك) رواه محمد بن نصر المروزي، وقال ابن كثير : هذا إسناد لا بأس به.

أخي، أين نحن في العبادة والخضوع والركوع والسجود والطاعة لله ؟

لنعرف أنفسنا، ولنعد إلى ربنا، ولنتب إليه ولنقبل عليه ! .

* * *

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ

حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

التفسير :

كل نفس متعلقة بعملها، مرهونة به يوم القيامة، إلا المؤمنين المخلصين منهم، الذين اعتقوا أنفسهم بالقيام بما أمرهم به الله ﷻ والانتهاء عما نهاهم عنه، فإنهم في جنات النعيم، يسأل بعضهم بعضاً عن المجرمين الكافرين بالله الذين أُدخلوا نار جهنم، ويسألون الكفار : ما الذي أدخلكم في النار ؟ فأجاب الكفار : دخلنا النار لأنا لم نكن نصلي في الدنيا، ولم نكن نخرج الزكاة ولا نتصدق على الفقراء والمساكين، وكنا نتكلم فيم لا نعلم، ونتحدث في الباطل، في كل شر وإثم وزور وبهتان، وكنا نكذب بيوم القيامة والبعث والحساب والجزاء حتى جاءنا الموت ونحن في غيِّنا وضلالنا، فما تنفع الكفار شفاعة الشافعين من الرسل وغيرهم، ولا تردّ عنهم عذاب الله ؛ لأن الله لم يرض عنهم ولم يأذن لأحد أن يشفع لهم .

فما لهؤلاء الكفرة معرضين عن الاتعاظ بما تدعوهم إليه وتذكرهم به ؟

كأنهم في نفورهم عن الحق وهروبهم منه حُمُر وحشية فرّت هاربة من أسدٍ يريد صيدها، بل يريد كل واحدٍ من الكفار أن ينزل عليه قرآن منشور يخاطبه كما أُنزل على النبي ﷺ، ليس الأمر كما زعموا ! وإنما أفسدهم أنهم لا يخافون عذاب الآخرة ولا يؤمنون بالقيامة والحساب والجزاء، بل هم مكذبون بذلك .

حتماً إن القرآن تذكرة عظيمة، وعِظة بليغة، وعِبرة مؤثرة لأصحاب القلوب

الحية، فمن شاء التذكرة والاتعاظ بهذا القرآن اتعظ واستفاد وفاز في الدنيا والآخرة، ومن تركه هلك وخسر الدنيا والآخرة .

وما يتعظون ويعتبرون بهذا القرآن إلا بمشيئة الله، فإنه لا يقع شيء إلا بمشيئته سبحانه، فالله وحده أهلٌ أن يُخاف منه، وأن يُعبد وحده لا شريك له، وهو أهلٌ ان يغفر ذنب من تاب إليه وأناب، فلا إله إلا هو ولا ربّ سواه .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم، لنتذكر هذه الآية :« **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** » فكل واحدٍ منا مرهون بعمله، فمن قام بما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه نجا يوم القيامة وفكّ رِهانه وأعتق رقبته، ومن أعرض عن ربه لم يُفلح يوم القيامة وأُخذ بعمله فهلك " النجاء، النجاء " ولْيسعَ كل واحدٍ منا في فكاك رقبته ونجاة نفسه من اليوم (في هذه الدنيا)كلُ الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها .

٢ - أهمية الصلاة (ركن من أركان الإسلام) فمن تركها فقد كفر بالله الكفر الأكبر، وقد قال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه : «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**» رواه مسلم، وعند الترمذي : «**بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**» (صحيح) . فمن ترك الصلاة فهو من أهل سقر (جهنم)، فيا أخي المسلم، اعتن بصلاتك عناية تامة في كل ما يتعلق بها، وقد قال ﷺ في حديث تميم الداري رضي الله عنه : «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ فَإِنْ أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نَافِلَةً فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَكْمَلَهَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَأَكْمِلُوا بِهَا مَا ضَيَّعَ مِنْ فَرِيضَتِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة (صحيح) .

أتمّ صلاتك، أكثر التطوع بالصلاة كصلاة الليل والضحى وغيرها من النوافل.

٣ - إنّ الكفار لا شفاعة لهم في الخروج من النار ولا في تخفيفها عنهم إلا أبا طالب فإن النبي ﷺ يشفع في تخفيف العذاب عنه، كما قال ﷺ في حديث العباس ﷺ : « **هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** » يعني أبا طالب .رواه الشيخانً .

٤ - أخي المسلم، هناك بعض أصحاب المعاصي إذا قيل له : اتق الله في هذه المعصية فاتركها ! قال : اعطني دليلاً عليها من القرآن أو من السنة (كمعصية شرب الدخان ونحوها)، فإذا قيل له : إن الدخان خبيث أو المخدرات خبيثة أو القات خبيث، وقد قال تعالى : ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ ، قال – راداً عليك– : أريد آية أن الدخان حرام أو القات حرام، فهذا النوع من العصاة يريد قرآناً ينزل له يخصّه في معصيته﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ فعلى هؤلاء العصاة أن يتقوا الله وأن يعودوا إليه وأن يأخذوا كلام أهل العلم المحققين. والله الموفق .

٥ - أخي المسلم، إذا رأى أحدنا الذين يخوضون في الكلام الباطل أو الأعمال المحرمة أو في ما لا يعنيه، فلينتبه ! وليحذر من الوقوع معهم، بل يتجنب هؤلاء بعد أن يدعوهم إلى الله وينكر عليهم ما هم فيه من الباطل والمحرم، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة : « **مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ** » رواه الترمذي وابن ماجة (صحيح) .

تفسير سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾

التفسير :

أُقسم بيوم القيامة، يوم البعث والحساب والجزاء، وأُقسم بالنفس التي فيها صلاح وإيمان، فتلوم صاحبها على فعل الذنب وعلى التقصير في فعل الخير والطاعات وعلى عدم الزيادة منها ؛ فتندم على ما فات . أيعتقد الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه وإعادتها بعد تفرقها إنكاراً منه للبعث ؟ بلى ! سنجمعها قادرين على إعادتها كما بدأناها، ولو شئنا لجعلنا بنانه (وهي أطراف أصابعه متساويه) مستوية، فإنا قادرون على ذلك .

بل يُريد الإنسان أن يمضي قُدُماً في فجوره مُستقبله من عمره، راكباً رأسه فلا يعود إلى ربه ولا يعتذر منه .

يسأل الكافر مُنكراً مُستبعداً : متى يكون يوم القيامة ؟

فإذا انبهر وتحيّر البصر، وذلّ وتخشّع من شدة الهول يوم القيامة، وذهب

ضوء القمر فأظلم، وجُمع الشمس والقمر فذهب ضوءهما لأنهما خسفا، عندئذٍ يقول الإنسان عندما يرى هذه الأهوال : أين المهرب والملجأ من هذا الهول والجزاء ؟ كلا ! فلا فرار ولا نجاة ولا مكان تعتصمون فيه من الحساب والوقوف بين يدي الله ﷻ، إلى الله وحده يوم القيامة المرجع والمصير والعودة ؛ فيجازي كل عاملٍ بعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

يُخبر الإنسان يوم القيامة بجميع أعماله في الدنيا، قديمها وحديثها، أولها وآخرها، ما قدّمه أمامه من خيرٍ أو شر، وما أخّر بعد موته من مال أو ولد أو سنة حسنة سنّها، أو سنّة سيئة سنّها وغير ذلك .

بل الإنسان شهيدٌ على نفسه بشهادة جوارحه عليه، كسمعه وبصره ويديه ورجليه وجلده، حتى ولو اعتذر وجادل عن نفسه، فهو بصيرٌ عليها، فلن تنفعه أعذاره .

بعض الدروس من الايات :

١ - أيها المسلم، إنّ المؤمن العاقل هو الذي إذا حصل منه الذنب ندم وأقلع ولام نفسه على ذلك وتاب إلى ربه، وقد قال ﷺ في حديث ابن مسعود ﷺ : (**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**) رواه أحمد وابن ماجة والحاكم (صحيح) . وقال ﷺ في حديث أبي سعيد الأنصاري ﷺ : «**النَّدَمُ تَوْبَةٌ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ**» رواه الطبراني في الكبير وحسنه الألباني رحمه الله .

أخي المسلم، كيف أنا وأنت ؟ هل نتوب ونعود إلى الله إذا أذنب أحدنا ؟ نسأل الله أن تكون كذلك !.

٢ - أخي المسلم، ما أكثر الناس الذين ركبوا رؤوسهم في الذنوب والآثام، مؤخّرين التوبة مؤمّلين طول العمر، حتى يأتيهم الموت وهم على هذا الحال !

وقد قال ﷺ: « **هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**» رواه البخاري .

وهكذا رسمه بعض أهل العلم :

- النقطة : الإنسان .

- المربع المحيط : أجله .

- السهم الخارج منه : أمله .

- الخطوط حول المربع : الأعراض .

تأمل أنّ الأجل قطع الأمل !

فلنسارع إلى التوبة قبل مجيء الأجل !.

٣ - أخي المسلم، سوف نُخبر بما قدمنا وما أخّرنا، ألا فليكن ما قدمنا خيراً وطاعة وحسنة، وما أخرنا كذلك، فيا أخي :

- أخي، اهتم، اهتم، اهتم بكل ما تقدمه من عمل ؛ ليكون طاعةً لله، ولْيحذر أحدنا أن يقدم المعصية، ولْيجعل أحدنا هذه الآية نصب عينيه ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾

- أخي، اهتم، اهتم، اهتم بكل ما تؤخّره بعدك من سُنّةٍ وغيرها، فإن كنت سَننت سنةً، فهل هي سنة حسنة ؟ فامضِ فيها واجتهد في عملها، وإن كانت سنة سيئة، فاحذر منها وأقلع عنها وتب إلى الله منها، وقد قال ﷺ : « **مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ... الحديث** » رواه مسلم .

واجعل لك صدقة جارية ؛ حتى لا ينقطع عملك، وقد قال ﷺ : « **إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ...الحديث** » رواه مسلم.

واجعل لك علماً يُنتفع به، وفي الحديث : « **أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ...الحديث** » رواه مسلم .

- إذا كان أحدنا قد قدّم ذنباً، فبإمكانه أن يستدركه لتحويله إلى حسنة، وذلك بالتوبة إلى الله منه ؛ حتى يجده وقد بدّله الله حسنة ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان : ٧٠]، وكما أخبر ﷺ أنّ التائب يرى بعض ذنوبه وقد تحوّلت حسنات فيقول يا رب لي غيرها (صحيح).

٤ - أخي المسلم، إن الاعتذار إلى الله ينقسم إلى قسمين :

(أ) الاعتذار الذي يقبله الله ويحبه، وهو التوبة إلى الله والاستغفار من الذنوب في الدنيا قبل الغرغرة، وقد قال ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « **وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ ... الحديث**» رواه الشيخان .

(ب) الاعتذار الذي لا يقبل، وهو التوبة عند الغرغرة، وبعد طلوع الشمس من مغربها، ويوم القيامة، ونحو ذلك مما جاء عنه ﷺ .

فلنعُد إلى الله عز وجل في زمان الفرصة .

٥ - يشرع عند الخسوف (كسوف الشمس أو القمر):

أ- صلاة الكسوف لأنه ﷺ قال: «**إذا رأيتم ذلك فصلوا**» رواه البخاري ولأنه ﷺ صلى صلاة الكسوف لما كسفت الشمس (وصلاة الكسوف ركعتان في كل ركعة ركوعان بحيث يقرأ الفاتحة ثم يقرأ بعدها شيئاً من القرآن ثم يركع ثم يرفع فيقرأ الفاتحة وبعدها شيئاً من القرآن ثم يرفع ثم يسجد سجدتين ثم يرفع فيقرأ في الركعة الثانية كما فعل في الأولى إلا أن الركعة الأولى تكون أطول من الثانية في القراءة والركوع والسجود لفعله ﷺ .

ب- يشرع الدعاء عند الكسوف لقوله ﷺ « **فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم** »رواه البخاري

ت- يشرع عند الكسوف الصدقة والتكبير لقوله ﷺ « **فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا**» رواه البخاري.

ث- ويشرع العتاق لقول أسماء " لقد أمر النبي ﷺ بالعتاق في كسوف الشمس" رواه البخاري .

ج- يشرع أن يُخطب ويبين للناس أن كسوف الشمس والقمر من آيات الله يخوف الله به عباده لأنه ﷺ خطب في الكسوف وقال : «**إن الشمس والقمر آيتان**

من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته...الحديث» رواه البخاري وغيره.

ح - تصلى صلاة الكسوف حتى في وقت النهي لأنها من ذوات الأسباب.

* * *

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

التفسير:

لا تحرك - أيها الرسول - بالقرآن لسانك لتستعجل حفظه خوفاً أن يتفلّت منك، إنّ علينا جمع القرآن في صدرك فلا تنساه، وأن تقرأه بلسانك على أكمل الوجوه، فإذا تلاه عليك جبريل عليه السلام فاستمع لقراءته ثم اقرأه كما أقرأك، ثمّ إنّ علينا أن نوضّحه لك، وأن نلهمك ونفهّمك معانيه وأحكامه.

كلا! فليس الأمر كما تزعمون، ولكنّ الذي حملكم على التكذيب بالقيامة والبعث ومخالفة أمر الله؛ أنكم تحبون الدنيا العاجلة وزينتها، وتؤثرونها وهي سريعة الانقطاع والاضمحلال، وتَدَعون الآخرة فلا تعملون لها، بل أنتم لاهون ومتشاغلون عنها.

وجوه المؤمنين يوم القيامة حسنة بهيّة مشرقة مضيئة مسرورة، إلى ربها تنظر بأبصارها، فتراه عياناً كما يرون القمر ليس دونه سحاب، فلا أكمل ولا أعظم من نظر المؤمنين إلى ربهم يوم القيامة.

وجوه الكفار يوم القيامة كالحة مسودّة عابسة، تستيقن أن يقع بها داهية من الدواهي العظام وشر وأنها هالكة مُعذّبة لما قدمته من الكفر والاعراض عن الله ورسُله .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم، يُشرع قراءة القرآن بالتدبر والفهم وعدم العجلة، ولذلك : لو أنّ أحدنا يقرأ القرآن :

(أ) قراءة تلاوة : وفيها شيء من الفهم والتدبر، وفيها شيء من الحدر بحيث يقرأ آيات كثيرة في زمن متوسط، ولا يكون هذّاً، فأمّا الهذّ فقد أنكره ابن مسعود ﷺ على من قرأ المفصل في ركعة، وقال : « **هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ** » رواه الشيخان .

(ب) قراءة تلاوة : وفيها وقوف عند الآيات وتفهّم لمعانيها وفقه لأحكامها، ودراسة النفس أمام ذلك، ومُساءلتها عن العمل بكل آية يقرأها المسلم، حتى وإن طالت المدة في السورة الواحدة، فيكون هذا منهجاً للشخص إن تيسّر له ذلك .

اقرأ الآيات واقرأ تفسيرها وما يتعلق بها من أحكام في كتب التفسير ونحوها حتى تأتي على القرآن كله، وفقك الله ! .

٢ - أخي المسلم، لتحذر من تقديم الدنيا على الآخرة، وإيثار الفانية على الباقية، والالتهاء بالدنيا، وزينتها وقصورها عن الآخرة ونعيمها، وقد قال ﷺ في حديث أبي سعيد ﷺ : « **مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى** » رواه أحمد وابن حبان والحاكم (صحيح) وقال ﷺ في حديث ابن عباس ﷺ : « **مَا لِي وَلِلدُّنْيَا مَا مَثَلِي**

وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» رواه أحمد (صحيح) .

٣ - إثبات أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] وفي حديث أبي هريرة :«أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...الحديث» رواه الشيخان . وقال ﷺ في حديث صهيب رضي الله عنه : «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قَالَ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عز وجل ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»رواه مسلم . وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « إِنَّ اللهَ يَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ يَضْحَكُ» .

أخي المسلم، سارع إلى الجنة ! وإلى ما فيها من النعيم المقيم، وأعظم ذلك : النظر إلى الرب الرحيم .

أخي المسلم، لنحافظ على صلاتي الفجر والعصر محافظةً شديدة، فقد نظر ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» رواه الشيخان من حديث جرير رضي الله عنه .

٤ - رؤية المؤمنين ربهم، وفيه مسائل :

(أ) إنه لن يرى أحدٌ ربه في الدنيا، فالله لانراه في هذه الدنيا، كما قال الله ﷻ لموسى :﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] وفي الحديث : « **تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ** » رواه مسلم .

(ب) إن الرسول ﷺ لم يرَ ربه بعينه ليلة المعراج، وقد قال ﷺ : « **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**» رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وفي رواية : (رَأَيْتُ نُورًا) .

(ج) إنّ رسول الله ﷺ رأى ربه في المنام، كما قال ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « **أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ أَحْسِبُهُ يَعْنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى** ...الحديث» رواه أحمد (صحيح) .

(د) إنّ المعنى في قوله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فالنفي هو الإحاطة، وليس ذلك نفياً للرؤية لثبوتها في الآية﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة: ٢٢، ٢٣] ولثبوتها في الأحاديث المتواترة فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة ولكن لا يحيطون به.

(هـ) المؤمنون يرون ربهم في الجنة، كما في الأحاديث .

(و) المؤمنون يرون ربهم في عرصات القيامة ؛ لقوله ﷺ من حديث جابر رضي الله عنه: « **إِنَّ اللهَ يَتَجَلَّى لِلْمُؤمِنِينَ يَضْحَكُ** » رواه مسلم، قال بعض العلماء : في عرصات القيامة .

(ز) الكفار لا يرون ربهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] .

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

التفسير :

حقاً، إذا وصلت الروح عظام الحلق (التراقي) وهي حالة الغرغرة والسكرات، وقال من حوله : هل من راقٍ يرقيه، وطبيبٍ يشفيه ؟ والجواب : لا راقي ولا طبيب ينفعه.

ويتيقّن الذي وصلت روحه الحلقوم أنّه الفراق للدنيا والخروج منها، واجتمعت عليه شدة الدنيا وشدة الآخرة والبلاء بالبلاء، والتفت إحدى ساقيه بالأخرى حين الموت .

إلى ربك المرجع والعودة، فتُساق الروح إلى ربها لحسابها وجزائها، فلا صدّق الكافر بكتاب الله ورسوله واليوم الآخر والحساب والجزاء، ولا صلّى الصلاة التي أوجبها الله عليه، ولكن كذّب بدين الله، والقرآن والبعث والحساب، وأعرض عن الإيمان والقرآن، ثم ذهب إلى أهله يختال متبختراً متكبراً في مشيته، مُعجباً بنفسه .

لك الوعيد والهلاك والخزي على إثر الوعيد والهلاك والخزي، ثم لك الوعيد والخزي والهلاك والذِّلة والمهانة على إثر الوعيد والذِّلة والمهانة والخزي.

أيعتقد الإنسان أن يُترك مُهملاً لا يؤمر ولا يُنهى، ولا يُحاسب ولا يُجزى بعمله ؟

إنّه لا بدّ من التكليف والحساب والجزاء . أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماءٍ يُراق من الأصلاب في الأرحام ؟ فلمَ يتنكر لأصله الضعيف، ويكفر بربه ولا يتعظ ؟

لقد كان عليه أن يتأمل ذلك، فيؤمن بربه ويخافه ويتقيه ويشكره، ثمّ صار علقة من دم جامد ثم مُضغة مُخلّقة وغير مُخلّقة بقدرة الله، ثمّ شكّله ونفخ فيه الروح فصار خلقاً سويّاً سليم الأعضاء، وكل ذلك بإذن الله وتقديره، فجعل منه النوعين، الذكر والأنثى ؛ ليبقى الجنس البشري بالتناسل .

أليس هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة، بقادرٍ على أن يُحيي الموتى ويعيدهم كما بدأهم ؟ بلى ! إنّه القادر على ذلك، وهو أهون عليه.

بعض الدروس من الآيات :

١ - تُشرع الرقية إذا كانت من القرآن أو الأدعية الشرعية، ويؤمر بالرقية لمن به العين، وقد قال ﷺ في حديث أم سلمة رضي الله عنها : « **اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ** » رواه الشيخان . وليست الرقية خاصة بمرض مُعيّن، ولكنها أنجع ما تكون بإذن الله من العين ولدغ ذوات السم ؛ لقوله ﷺ في عمران رضي الله عنه : « **لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ أَوْ دَمٍ** » رواه أحمد وأبو داود والترمذي (صحيح) . وقال ﷺ : « **لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ** » رواه مسلم عن بريدة بن الحصيب .

ومن أراد أن يكون مع السبعين الفاً الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، فلا يسترق، وليُقُم بما جاء في قوله ﷺ فيهم: « **هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** » رواه البخاري.

٢ - أخي المسلم، لنستعدّ للموت وسكراته، وليعلم أحدُنا أنه عندما يصل إلى تلك المرحلة (السكرات) فلا طبيب ولا راقي ولا أحد ينفعه بشيء، فليجعل لذلك الموقف أهبته بكل عمل صالح يقرِّبه إلى الله ﷻ، وليسأل الله عند ذلك أن يُعينه على سكرات الموت، فإنَّه ﷺ لما كان في مرضه كان يقول: « **اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ** » رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

٣ - أخي المسلم، لنعتنِ بالعمل الصالح من الآن، ولنجعل هذا الموضوع هو كل اهتمامنا؛ لأن أحدنا إذا مات لم يبق معه إلا عمله كما قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: « **يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ** » رواه الشيخان.

٤ - أخي المسلم، يجب أن نحذر من الكبر ومن مشية التكبُّر (التنفّخ) إما لغنى أو جاه أو مال أو سكن فاخر أو سيارة فاخرة أو لباس أو غير ذلك، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ** » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة (صحيح).

فمن تكبّر فهو ينازع الله كبرياءه، وقال ﷺ في حديث أبي هريرة: « **وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ** » رواه مسلم.

لنتواضع لله، ولنترك الكبر !

٥ - أخي المسلم، إذا قرأ أحدنا ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ فليقل : سبحانك فبلى ! لحديث موسى بن أبي عائشة قال : (كَانَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ وَكَانَ إِذَا قَرَأَ) ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ قَالَ سُبْحَانَكَ قيل فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رواه أبو داود (صحيح) .

تفسير سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾

التفسير :

أما قد مضى على الإنسان (آدم) وقت طويل - قبل أن تُنفخ فيه الروح – لم يكن شيئاً يُذكر، فلا عقل ولا حياة، إنما هو طينٌ لازب .

إنّا خلقنا الإنسان من نطفة، أخلاطٍ من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالأوامر والنواهي، فجعلناه سميعاً بصيراً ليتمكن بالسمع والبصر من التأهل للفهم والعلم.

إنّا بيّنا ووضّحنا له طريق الهدى والضلال، والحق والباطل، والخير والشر، والنافع والضار، وهو في ذلك إمّا أن يكون شاكراً لله بسلوك طريق الهدى والخير، أو كافراً بسلوك طريق الشر والضلال .

إنّا هيّأنا وأعددنا للكافرين بالله سلاسل يُسحبون بها في نار جهنم، وأغلالاً تُغلّ بها أيديهم في أعناقهم، وناراً مُستعرة مُلتهبة تُحرقهم .

إنّ المؤمنين المطيعين لله ورسوله يشربون من خمرٍ ممزوجة بالكافور وما فيه من لذة برودته وطيب رائحته وبياض لونه، مع ما يُضاف من اللذاذة في الجنة . وهذا الذي مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقرّبون من عباد الله، يتصرّفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم .

ومن صفات هؤلاء الأبرار أنهم يؤمنون بما أوجبه على أنفسهم من طاعة الله كالحج والصوم والعمرة، ويخافون يوم القيامة والجزاء والحساب، كان شرُّه فاشياً منتشراً كبيراً مُذهلاً، ويُطعمون الطعام – مع حبهم وشهوتهم له – المساكين والأيتام والأسرى، مؤثرين هؤلاء على أنفسهم طمعاً فيما عند الله من الثواب، قائلين بلسان حالهم : إنما نُطعمكم ونؤثركم بالطعام على أنفسنا طلباً لثواب الله ورضاه ،ولا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا وتمدحونا عند الناس.

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم، لنهتمّ بأسماعنا وأبصارنا فهي من أوعية العلم .

وهذا الاهتمام يتناول ما يلي :

(أ) أن نستمع إلى ما ينفع (استماع القرآن – استماع المواعظ التي من القرآن والسنة – استماع العلم من الشريط أو من غيره) وليسأل أحدنا نفسه، ماذا

يستمع بإذنه كل يوم مما ينفعه في الدنيا والآخرة ؟ وأن ننظر إلى ما ينفع (في القرآن بالقراءة - في كتب العلم - في غير ذلك مما ينفع في الدنيا والآخرة) .

(ب) أن نعرض عن استماع ما يضر في الدين والدنيا ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[القصص : ٥٥]. وقال ﷺ :« **والأذنان وزناهما الإستماع ...الحديث**» رواه مسلم . وان نُعرض عن النظر إلى ما يضر في الدين والدنيا، وقد قال جرير ﷺ : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة ، فقال : « **اصْرِفْ بَصَرَكَ**» رواه مسلم . وقال ﷺ لعلي : « **يا عَلِيُّ لا تُتبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ** » رواه ابو داود وغيره (حسن) .

(ج) لنستعذ بالله من شر أسماعنا وأبصارنا، وفي حديث شَكَل ﷺ قال : « **أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي تَعَوُّذًا أَتَعَوَّذُ بِهِ فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ قُلْ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَشَرِّ بَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَشَرِّ قَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّي** » وفي لفظ : « **قُلْ اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَلِسَانِي وَقَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي** » روى ذلك كله النسائي (صحيح) .

٢ - أخي المسلم،لقد بيّن الله ووضّح لنا جميعاً طريق الخير وطريق الشّر ، فهل وعينا وقمنا في إعتاق أنفسنا من المهالك ؟ فإنّ أحدنا إمّا أن يسير في طريق الخير أو في طريق الشر، وقد قال ﷺ في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ :« **كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** »رواه مسلم .

ألا فلْنقُم بإعتاق أنفسنا من النار بالقيام بطاعة الله وترك معاصيه، والرجاء في رحمته وثوابه والخوف من عقابه .

٣ - أيها المسلم، إنّ الكأس في لغة العرب هي (الخمر)، وكل ما جاء في القرآن (كأس) فهي الخمر، واعلم أخي :

(أ) أنه لا يجوز أن نجعل الكأس جائزة في هذه الحياة ؛ لأنه يحرم شرب الخمر في الدنيا، ومن شربها أُقيم عليه حدّ شرب الخمر (أربعون جلدة) أو (ثمانون جلدة) على الخلاف بين العلماء في حدّها .

(ب) إنّ المؤمنين يشربون في الجنة خمراً ممزوجة بالزنجبيل وممزوجة بالكافور، بل في الجنة (أنهار الخمر) كما قال تعالى :﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمد:١٥].

وتتميز الخمر في الجنة بخصائص منها :﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[الواقعة : ١٩]، ولا يوجد في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء .

(ج) من شرب الخمر في الدنيا ثلاث مرات وتاب، تاب الله عليه، فإن عاد فقد قال ﷺ : « **وَإِنْ عَادَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدَغَةِ الْخَبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا رَدَغَةُ الْخَبَالِ قَالَ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**» رواه ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (صحيح) .

وفي لفظ : « **وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ** » رواه الترمذي وأحمد (صحيح) .

إن على المسلم أن يحذر من شرب الخمر والمخدرات التي هي أشد خطراً وأشد فتكاً بالدين والجسم والعقل والمال والمجتمع .

٤ - يجب الوفاء بنذر الطاعة، وقد قال ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها : « **مَنْ نَذَرَ**

أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ » رواه البخاري. وأما نذر المعصية فيحرم الوفاء به، وعليه كفارة يمين ؛ لقوله ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها : « لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ » رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة (صحيح) . وقال ﷺ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه : « وَمَا كَانَ مِنْ نَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ وَلَا وَفَاءَ فِيهِ وَيُكَفِّرُهُ مَا يُكَفِّرُ الْيَمِينَ » رواه النسائي (صحيح) .

* * *

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾

التفسير :

هذا من كلام عباد الله الصالحين في الآيات المتقدمة ،فهم يقولون : إنما نفعل ذلك الخير خوفاً من يوم ضيق طويل، تعبس فيه وجوه الكفار وتُقبض من هوله، فلعلّ الله أن يرحمنا ويلطف بنا في ذلك اليوم، فنجّاهم الله من شر ذلك اليوم، وأمّنهم بما خافوا منه سبحانه، وأعطاهم الله ونوّلهم بسبب صبرهم على الطاعات

وعن المعاصي وعلى المصائب جنّةً ناعمةً ومنزلاً رحباً وعيشاً هنيئاً رغداً في النعيم المقيم، وحريراً ثياباً وفرشاً ولباساً، مُتكئين في الجنة على الأسرِّة الجميلة، لا يرون في الجنة شمساً ولا يجدون حراً مُزعجاً ولا برداً مؤلماً، بل الجو المعتدل والظلّ الظليل، وقريبةٌ منهم ظلال أشجار الجنة، وسُخّرت ويُسّرت لهم ثمار الجنة في تدلّيها عليهم وقُربها منهم بحيث ينالها المؤمن قائماً وقاعداً ومُضطجعاً، ويطوف عليهم غلمانهم بأواني الطعام وهي من فضة، وأكواب الشراب التي لا عُرى لها ولا خراطيم وهي زجاج من فضة يُرى ما في بطنها من ظاهرها . وهذه الآنية هي زجاج من فضة على قدر ريِّهم لا تزيد عنه ولا تنقص (قد قدّرها الغلمان على قدر الشاربين) .

ويُسقى أولئك الأبرار في الجنة خمراً ممزوجةً بالزنجبيل، لذيذة الطعم طيبة الريح . والزنجبيل عين في الجنة يشرب منها هؤلاء الأبرار اسمها (سلسبيل) لسلاسة سيلها، وسهولتها في الحلق، لشاربها وحدة جريها .

ويطوف على أهل الجنة للخدمة غلمان على حالة واحدة لا يتغيرون عنها ولا تزيد أعمارهم، وهم ماكثون في الجنة، إذا رأيتهم في انتشارهم وكثرتهم وجمالهم وحسنهم حسبتهم لؤلؤاً مضيئاً منثوراً .

وإذا رأيت هناك في أي مكان في الجنة ونعيمها وسعتها وما فيها من السرور والجمال رأيت نعيماً مقيماً وملكاً عظيماً واسعاً .

فوق أبدان أهل الجنة ثياب من حرير رفيع (رقيق) أخضر، ومما يلي الظاهر سميك فيه بريق ولمعان، وحُلّوا في أيديهم أساور من فضة، وسقاهم ربهم شراباً

طهوراً من كل دنس ومن كل أذى ومن كل ضرر، ويُقال لهم – تكريماً وإحساناً إليهم – : إنّ هذا الذي هُيئ لكم من النعيم كان لكم ثواباً على إيمانكم وأعمالكم الصالحة، وكان سعيكم مقبولاً مرضياً عند الله تعالى :﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[الحاقة: ٢٤] .

بعض الدروس من الآيات :

١ – أخي المسلم، لتتصدق ونعمل الأعمال الصالحة خوفاً من الله ذلك اليوم (يوم القيامة الشديد) فنجعله على البال والخاطر ولا ننساه، مع رجاء رحمة الله ؛ فإن الخوف والرجاء للعبد كجناحي الطائر، ولا يُغلّب العبد أحد الجانبين بحيث يقع في المحرم، لا يغلب جانب الخوف فيقع في القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله، وقد قال ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه : « **الْكَبَائِرُ الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ** » رواه البزار (حسن) . ولا يُغلّب جانب الرجاء فيقع في الأمن من مكر الله عز وجل

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٩] .

تنبّه أخي المسلم لهذه المسألة المهمة !

وإذا اجتنب العبد الكبائر وسدّد، فليبشر، وقد قال ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: « **اجْتَنِبُوا الْكَبَائِرَ وَسَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا** » رواه أحمد (حسن) .

٢ – أخي المسلم، إنّما نال المؤمنون الجنة بسبب : (بِمَا صَبَرُوا)، ولذلك فالعبد يحتاج إلى صبر :

(أ) لنصبر على القيام بطاعة الله، وقد قال ﷺ في حديث علي رضي الله عنه: « **إِسْبَاغُ الوضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وإِعْمَالُ الأَقْدَامِ إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ يغْسِلُ الخَطَايَا غَسْلاً** » رواه الحاكم (صحيح).

(ب) لنصبر عن المحرمات (المعاصي) فنبتعد عنها، ومن وقع فيها فليتب منها إلى الله.

(ج) لنصبر على المصائب، كالأمراض والفقر وغيرها، وقد قال ﷺ في حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: « **وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ** » رواه مسلم.

٣ - أيها المسلم الذكر، تجنّب لبس الحرير فإنه حرام على الذكور حلٌ للإناث ؛ كما قال ﷺ « **واعلم أن من لبس الحرير من الرجال في الدنيا، لم يلبسه في الآخرة** » فقد قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: « **مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ** » رواه الشيخان. فمن تاب، تاب الله عليه، و « **التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ** » كما قال ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه (رواه ابن ماجة وهو صحيح).

٤ - الذين يُحلّون أساور من فضة هم -والله أعلم- الأبرار، أما المقربون فإنهم يُحلّون كما قال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ...الآية﴾ [الحج: ٢٣].

أخي، لنسارع إلى الجنة وإلى أن يكون العبد من المقربين ! ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[الواقعة: ١٣، ١٤].

٥ - إن في الجنة نعيماً وملكاً كبيراً، وفي حديث آخر أهل النار خروجاً وآخر

أهل الجنة دخولاً فيها : أنّ الله ﷻ يقول له : (فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا) رواه الشيخان .

فما بالك أخي بمن قد دخل الجنة متقدماً ! وما أعد الله له من النعيم المقيم !

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣] .

٦ - من فوائد الزنجبيل :

- إذا أُخِذ مع القرنفل والقرفة بمقادير متساوية، وغُلي على النار، وشُرب منه، فإنه يفيد -بإذن الله - لمرض الزكام .

- يؤخذ قشر الرمان مع الزنجبيل والحبة السوداء بمقادير متساوية، ويُطحن جيداً، ويُعجن في عسل، ويؤخذ من المعجون ملعقة بعد كل أكلة، فهذا يُفيد - بإذن الله - في القضاء على مرض الدوسنتاريا .

* * *

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾

التفسير :

إنا نحن نزلنا عليك – أيها الرسول – القرآن تنزيلاً منا ووحياً أوحيناه إليك .فاصبر على ما حكم ربك به مما قضاه وقدّره شرعاً وقدَراً، واعلم أن الله سيدبرك بحسن تدبيره، ولا تطع من الكافرين فاجراً في أفعاله أو كفوراً في قلبه، بل بلغ ما أنزل الله إليك، وتوكّل عليه، فإن الله يعصمك من الناس .

وأكثر من ذكر ربك أول النهار وآخر النهار، وصلّ بالليل وتهجّد لله نافلةً لك في وقت طويل من الليل مع التسبيح والذكر .

إن هؤلاء الكفار ومن على شاكلتهم، يحبون الدنيا الفانية الزائلة، ويُقبلون عليها ويدعون وراء ظهورهم يوم القيامة، فلا يستعدون ولا يعملون لذلك اليوم شديد الهول .

نحن خلقناهم من العدم، وشددنا خلقهم وأتقنّاه وأحكمناه، وإذا شئنا أهلكناهم وأتينا بقوم غيرهم ليسوا مثلهم بل أفضل منهم وأطوع لله وأحب إلى الله ﷻ .

إنّ هذه السورة موعظةٌ جليلة، فمن شاء السلامة والنجاة والفوز، اتخذ إلى ربه طريق القيام بما أمره الله والانتهاء عما نهاه عنه، والاجتهاد في متابعة رسوله ﷺ والرغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والأجر العظيم الموصل إلى الفلاح والجنة .

وما تشاءون – أيها العباد – أي أمر، فإنه لا يحصل إلا أن يشاء الله ذلك ؛

لأن كل شيء إنما هو بقضاء الله وقدره، ولا يقع شيء في هذا الكون إلا بمشيئته سبحانه .

إن الله كان عليماً بأقوال وأفعال عباده، لا يخفى عليه منهم شيء، حكيماً في اقواله وأفعاله وشرعه وجزائه .

يُدخل الله من يشاء من عباده في رحمته، فيوفقه للهدى والخير وعمل الطاعات، والظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي والإعراض عن الله، هيأ لهم عذاباً مؤلماً في نار جهنم .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم : إن هذا القرآن الذي أنزله الله ﷻ على رسوله محمد ﷺ وحياً، قد كلّفنا الله العمل به . فليسأل أحدُنا نفسه في تطبيق هذا القرآن في حياته كلها، وصبره على هذا العمل والتطبيق الجاد، حتى يكون القرآن حجة له يوم القيامة ولا يكون حجة عليه، وقد قال ﷺ : «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ...الحديث**» رواه مسلم . وهذا العمر هو زمان الفرصة لي ولك للعمل بهذا القرآن . يامن يطلب النجاة، النجاء ! النجاء ! .

٢ - أخي المسلم، هل نريد ان نسلك طريقاً إلى الجنة، فيه نجاتنا وفوزنا ؟ الجواب : نعم، فلْنَسْلُك :

(أ) طاعة الله، بالقيام بأوامره وترك نواهيه، والسير على هدى نبيه محمد ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] .

(ب) دراسة هذه السورة وفهمها وأخذ الموعظة منها (تذكرة) والقيام بذلك بكل جدّ ونشاط ورغبة فيما عند الله وخوفاً منه، ولذلك فإنه يُشرع قراءة هذه السورة في فجر يوم الجمعة، كما قال ابو هريرة ﷺ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةُ وَهَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ) رواه الشيخان.

أخي من يصلي بالناس، اقرأها في فجر الجمعة مع سورة السجدة، على ما جاء في الحديث.

وأنت أخي المستمع، تفهّمها مع سورة السجدة، واعمل بها.

٣ - أيها المسلم، لنحذر كل الحذر من طاعة الكفار وأصحاب المعاصي، فقد نُهى النبي ﷺ عن طاعتهم، فكيف بي وبك؟

فلا نُطيع أصحاب المعاملات الربوية، بكتابتها أو محاسبتها أو حراستها أو غير ذلك، ولا نُطيع أصحاب الزمر والأغاني، ولا نُطيع أصحاب الأهواء (البدع) كالرافضة والصوفية وغيرها، ولا نُطيع الكافرين ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الفرقان:٥٢] بل نحذر من مجالسة هؤلاء الفجرة إلا على سبيل دعوتهم إلى الله والإنكار عليهم وبيان ما هم عليه من المآثم، وأما إذا أُكره العبد على شيء، كما لو أُكره على التأمين على السيارة، ولا يمكن أن يحصل على السيارة إلا بالتأمين عليها، وهو لا بدّ له من السيارة، فإنه يجب أن يكون كارهاً بقلبه هذا التأمين؛ لأنه محرم، وقد قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦] بل يجب البراءة من ذنب العاصي، وقد قال ﷺ لمّا حصل من خالد

ﷺ بعض المخالفة : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ** » رواه البخاري .

٤ – أخي المسلم، يُسن لنا أن نتهجد بالليل، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ : « **أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ** » رواه مسلم . والمراد : جوف الليل الآخر، كما قال ﷺ في حديث عمرو بن عبسة ﷺ : « **أَفْضَلُ السَّاعَاتِ جَوْفُ اللَّيْلِ الأَخِير** » رواه الطبراني في الكبير (صحيح) وأفضل الصلاة في التهجد تكون في ثلث الليل الذي بعد نصفه، كما قال ﷺ : « **وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ** » رواه الشيخان واللفظ لمسلم

٥ – أيها الأخ المسلم، لنهتمّ بالآخرة غاية الاهتمام، ولا نجعل الدنيا هي غاية الاهتمام والعمل، كما هو الحال عند كثير من الناس اليوم، وقد قال ﷺ : « **فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ** » رواه مسلم . فيا أخي، اتق الدنيا ! بل، تعوّذ بالله من فتنة الدنيا، وفي حديث سعد ﷺ أنه روى عن الرسول ﷺ هذه الكلمات وأن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بهن دبر كل صلاة : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** » رواه البخاري .

فلنتعوذ من ذلك كله ! والله الموفق .

* * *

تفسير سورة المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

التفسير :

أقسم بالريح إذا هبّت شيئاً فشيئاً متتابعة كعُرف الفرس في تتابعه، وأُقسم بالريح شديدة الهبوب التي تعصف وتدمّر ما قبلها، وأُقسم بالرياح التي تنشر المطر وتوزّعه في السماء وفي الأقاليم ؛ لتحيا به الأرض بعد موتها، وأُقسم بالملائكة التي تنزل بالوحي على الرسل، تُفرّق به بين الحق والباطل والهدى والضلال والحلال والحرام، وأُقسم بالملائكة التي تُلقي الوحي إلى الرسل للتذكير بما فيه، وهذا التذكير فيه إعذارٌ من الله إلى خلقه، فأرسل الرسل وأنزل الكتب، وفيه إنذارٌ لخلقه من عذاب أليم إن أعرضوا عنه وردّوه ولم يؤمنوا به، إنّما توعدون به من قيام القيامة والبعث والجزاء والحساب لكائنٌ لا محالة، وحاصلٌ لا مانع منه .

فإذا النجوم طُمس ضوءها، وإذا السماء تشققت وتفطّرت فلم تعد متماسكة كما كانت، وإذا الجبال ذُهب بها فلا يبقى أثرٌ ولا عين ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ وإذا

الرسل جُعل لهم وقت معلوم يجتمعون فيه لشهادتهم على أممهم والحكم بينهم وبين أممهم، فيُؤتى بهم في ذلك الوقت ﴿ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

لأي يوم (عظيم مهم) أُخِّرت الرسل ؟

إنها أُخِّرت ليوم يفصل الله فيه بين الرسل وأممهم، وبين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ؛ فيجازي كلاً بعمله ٌ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

وما أخبرك ما يوم الفصل وعِظَمه وهوله وما يكون فيه ؟

هلاكٌ شديد وعذابٌ عظيم للمكذبين بهذا اليوم، المنكرين مجيئه الجاحدين وقوعه .

ألم نهلك السابقين لهم من الأمم، الذين كذّبوا الرسل، كقوم نوح وعاد وثمود، فانتقمنا منهم وأخذناهم بالعذاب، ثم نتبعهم الآخرين – بإهلاكهم – ممن كذب الرسل . ومثل ذلك الهلاك نفعل بكل من أجرم وكذّب رسل الله، فنهلكهم وندمرهم كما دمّرنا من قبلهم، فهذه سنة الله ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ هلاك وعذاب أليم يوم القيامة للمكذبين بالله ورسوله والقيامة والبعث والجزاء.

بعض الدروس من الآيات :

١ - يُشرع القراءة بالمرسلات عُرفاً في صلاة المغرب بعض الأحيان ؛ لأن أم الفضل سمعت ابن عباس يقرأ (والمرسلات عرفاً) فقالت : (يَا بُنَيَّ وَاللَّهِ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ) رواه الشيخان .

٢ - أخي المسلم، لقد أعذر الله إلى خلقه، وهذا يتناول :

(أ) إن الله ﷻ قد أعذر إلى خلقه كلهم، فأنزل الكتب وأنزل الكتب لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقد قال ﷺ في حديث ابن مسعود : «**لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ**» رواه مسلم .

أيها المسلم، لا عذر لي ولك فقد قرأنا القرآن وبلّغنا رسول الله ﷺ، فلنجتهد في طاعة الله وترك معصيته .

(ب) إن الله ﷻ قد أعذر إلى من أخّر أجله حتى بلغ ستين سنة ،كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**» رواه البخاري .

• رسالة إلى من بلغ ستين سنة :

يا من بلغ الستين من السنين، لم يبق عندك موضع للاعتذار فقد أمهلك الله طول هذه المدة، فتب إلى الله ﷻ وسارع في طاعته وأكثر من ذكره ومن النوافل، وتجنب معصية الله، وعلّق قلبك بالمسجد، واحذر من الحرص الذي يقع فيه كبار السن، كما قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه : «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**» رواه مسلم .

فيا أخي، أنفق من مالك، واستغلّه ليكون لك بعد موتك، واستغلّ بقية عمرك في طاعة ربك . والله الموفق .

٣ - أيها المسلم، إنّ يوم القيامة يوم عظيم، وفيه من الأهوال ما الله به عليم، فلنجعل ذلك اليوم على البال ولا ننساه !

ولْنَدعُ الله ﷻ كما في حديث ابن عباس ﷺ قوله ﷺ : « **اللهم إني أسألك العفو والعافية في دنياي ودِيني وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي وآمن روعتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بك أن أغتال من تحتي**» رواه البزار (صحيح) . ولنتعوّذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة، ففي حديث عائشة ﷺ أنه ﷺ كان (يَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه النسائي (صحيح) .

* * *

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

التفسير :

أما خلقناكم من ماءٍ ضعيف حقير (وهو المني) ؟ فجمعنا هذا الماء في مكانٍ حريز حافظ لما أُودع فيه من الماء (وهو رحم المراة)، إلى أجل معلوم (مدة

الحمل إلى الولادة)، فقدرنا على الخلق من تلك النطفة والحفظ لها إلى أجلها المعلوم حتى الولادة، فنعم القادرون نحن على الخلق والتقدير .

أما جعلنا الأرض تضمّ الأحياء فوق ظهرها والأموات في بطنها ؟ وذلك بقدرتنا فلا يُعجزنا شيء .

أحياءً على ظهر الأرض يسكنون ويأكلون ويشربون، ويذهبون ويجيئون، وأمواتاً في بطن الأرض قد وسعتهم فلم تضق بالأحياء ولا بالأموات، بل وسعتهم جميعاً .

وجعلنا في الأرض جبالاً عاليات أرسى بها الأرض لئلا تميل وتضطرب، وأسقيناكم ماءً عذباً طهوراً .

وهلاك وذلة ودمار يوم القيامة للمكذبين بقدرة الله وبالله ورسله، والقيامة والبعث والحساب .

انطلقوا أيها الكفار إلى نار جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا فهي مأواكم ومقركم .

انطلقوا إلى ظل دخان جهنم المتصاعد مع اللهب، حيث أن من شدة هذا الدخان وقوته أنّ له ثلاث شعب، لا يُكِنّ من الحر ولا يُظل منه، ولا يقيهم حر جهنم (فهم في دخانٍ وحر ولهب) .

إن نار جهنم ترمي بشرر يتطاير منها، الشرارة الواحدة مثل القصر العظيم المرتفع ، كأنّ الشرر الذي ترمي به النار إبل سود عظيمة تميل إلى الصفرة .

هلاك ودمار وخزي يوم القيامة للمكذبين بعذاب الله (النار)، وبالله ورسله والقيامة والجزاء والحساب .

هذا يوم القيامة الذي لا يتكلم الكفار فيه بكلام يفيدهم ؛ لأنه لا حجة لهم، فقد قامت عليهم الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب . ولا يؤذن للكفار في الاعتذار ليعتذروا ؛ لأنه لا عذر لهم، بل قد قامت عليهم الحجة .

هلاك ودمار وخزي يوم القيامة للمكذبين بهذا اليوم وما يكون فيه، وللمكذبين بالله ورسله، والقيامة والجزاء والحساب .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أيها العبد، لنتفكر في أصل خلقتنا (من المني) ! وهذا دالٌ على قدرة الله العظيمة، فنعم القادر هو، فكيف يعصي أحدنا ربه ويخالف أمره ويتبع هواه ؟ ألا يستحي أحدنا من الله ؟ ألا يخاف منه ؟ كيف يتكبر ويتجبر ويجمع من الدنيا ويمنع ما فرض الله عليه ؟ وقد قال بُسر بن جحّاش ﷺ : بَصَقَ النبي ﷺ يَوْمًا في كَفِّه فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ ثُمَّ قَالَ ﷺ : قَالَ الله تعالى : « **ابْنَ آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ قُلْتَ أَتَصَدَّقُ وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ** » رواه أحمد والحاكم وبعضه عند ابن ماجه (صحيح) .

ألا فليعرف أحدنا أنه الضعيف ! فعليه أن يعود إلى ربه وأن يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي عن نهيه ويتواضع لعظمته كما أمره ربه . والله المستعان .

٢ - أخي المسلم، أنظر إلى:

(أ) هذه الأرض وأنت تسير عليها، وهي مُذللة مُسخرة وقد وسِعت هذا العالم، ولكن، لمَ جيء بي وبك لنعيش عليها ؟ تنبّه ! إنّما خُلقنا لنعبد الله ﷻ . فلنقُم بذلك الذي خُلقنا من أجله (العبادة)، وانظر إلى هذه القبور، وإني وإياك سوف ندخلها، وإنها روضةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فاستعدّ لقبرك وموتك ووضعك في بطن هذه الأرض .

(ب) وانظر إلى الجبال الشامخة الدّالة على عظمة الله، وأنه ثبت بها الأرض لنعيش عليها، وإلاّ فتأمل كيف لو كانت الأرض مضطربة، هل نستطيع العيش عليها؟ بل إن الزلزال الذي يستمر عشر ثوانٍ على درجة سبعة من مقياس رختر، يُدمّر بهذا الزلزال مدن وقرى وعالم . فإذا عرفت هذا فازدد إيماناً بالله وخضوعاً وحُباً له وخوفاً منه وشكراً على نعمه وفضله . والله الموفق .

(ج) أنظر إلى الماء الذي سقانا الله وما فيه من الفوائد للجسم والحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠] فلا تبذّر في هذا الماء ولا تسرف فيه، واحمد الله على الشربة منه، وقد قال ﷺ: « **إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا** » رواه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه .

٣ - أيها المسلم، القرآن يُحدثنا عن نار جهنم وما فيها من الشرر الذي هو كالقصور، وما فيها من اللهب، وغير ذلك، فهل نهرب من هذه النار بطاعة ربنا وترك معاصيه ؟ فإن المعاصي طُرق إلى نار جهنم، والنفس تشتهي كثيراً من

الذنوب حُفّت بها النار، كما قال ﷺ : « **وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** » رواه مسلم . فلنترك شهواتنا التي هي معاصي لله ﷻ ولنقبل على طلب الجنة التي حُفّت بالمكاره، كما قال ﷺ : « **حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ** » رواه مسلم . والله الموفق .

٤ - عرصات القيامة حالات : حالة يتكلمون فيها، وحالة لا يؤذن فيها بالكلام، وهكذا، والقرآن يُخبر عن هذا تارة وعن هذا تارة . والله أعلم .

* * *

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

التفسير :

هذا يوم الفصل الذي يفصل الله فيه بين الخلائق، جمعناكم مع السابقين في صعيدٍ واحد ليجازى كل عامل بعمله، فإن كان لكم حيلة على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجو من عذابي فاحتالوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك .

هلاك ودمار يوم القيامة للمكذبين ؛ بما يقع يوم القيامة من جمع الله الأولين والآخرين، وغير ذلك . إن المتقين لله بفعل ما أوجب الله عليهم وترك ما نهاهم عنه في ظلال الأشجار الوارفة، وعيون من الماء واللبن والخمر، جميلةٌ جارية لذيذة .

وللمتقين في الجنة فواكه كثيرة مما يشتهون، لا مقطوعة ولا ممنوعة، فمهما طلبوا وجدوا منها، يُقال لهم : كلوا مما في الجنة من الطعام الطيب، واشربوا من الشراب اللذيذ، مُتهنئين مسرورين بسبب ما كنتم تعملونه من الأعمال الصالحة في الدنيا .

إنّا بمثل هذا الجزاء من النعيم المقيم نجزي المحسنين في أعمالهم (أخلصوا لربهم وتابعوا رسولهم ﷺ) .

هلاك وخزي يوم القيامة للمكذبين بما أعدّ الله من النعيم المقيم للمتقين، وغير ذلك مما يكون يوم القيامة . يُقال لهؤلاء المُكذبين : كلوا مما في هذه الدنيا من الطعام، وتمتعوا بلذائذها وزينتها مدة قليلة قصيرة – إنكم مجرمون – ثم تُساقون إلى نار جهنم .

هلاك يوم القيامة للمكذبين بدين الله وما جاء به رسوله وبالقيامة والبعث وغيرها مما أخبر به الله . وإذا قيل للكفار : صلّوا لله ﷻ فإنهم يرفضون ولا يُصلون.

هلاكٌ يوم القيامة للمكذبين بدين الله وبالقيامة وغير ذلك مما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ .

فبأي كلام يؤمنون إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الواضح الدّال على الهدى وعلى الصراط المستقيم . إنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فلن يؤمنوا بغيره .

بعض الدروس من الآيات :

١ - أخي المسلم، لنتذكر يوم الجمع (يوم القيامة) وهذا الجمع :

(أ) يكون جمعاً للناس كلهم، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « **يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمْ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ ...الحديث**» رواه مسلم . وعند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: « **يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ أَلَا يَتْبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُ...الحديث**» صحيح .

(ب) هناك جمع للمؤمنين يوم القيامة، كما قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه : « **يُجْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَأْتُونَ آدَمَ ...الحديث** » رواه البخاري .

أخي، استعدّ لذلك اليوم من الآن بكل عملٍ صالح، واجعل يوم القيامة على البال !

(ج) هناك جمع الوحوش : ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ [التكوير: ٥]. والله أعلم .

٢ - أيها المسلم، إن الله وعد المؤمنين المتقين بالظِّلال والعيون والفواكه مما يشتهون في جنات النعيم، فلنعمل بتقوى الله في هذه الدنيا حتى نخرج منها إلى الآخرة ؛ لنحصل على ما وعد الله به المؤمنين المتقين، والله لا يخلف الميعاد، فمن أراد الظل في الآخرة فهو على نوعين :

• الظل لكل أهل الجنة ﴿ فِي ظِلَلٍ وَعُيُونٍ ﴾وقد قال ﷺ في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**» رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

أسرع أخي إلى الدار الآخرة بطاعة الله وترك معاصيه لتحصل على هذا الظل ﴿ ظِلَلٍ ﴾ .

• الظِّل في ظلِّ الله : وهذا للسبعة، وذلك – والله أعلم – حينما تكون الشمس على رؤوس الخلائق، وقد قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**»رواه الشيخان . وجاء في بعض الأحاديث : (**فِي ظِلِّ عَرْشِهِ**) رواه أحمد والترمذي (صحيح).

أخي المسلم، أطلب هذا الظل، فكن أحد هؤلاء السبعة الأصناف أو أكثر من ذلك بحيث تحقق صفات كثيرة مما في الحديث .

• ظل الصدقة حتى يُقضى بين الناس، وقد قال ﷺ في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه : «**كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ**» رواه أحمد والحاكم (صحيح) .

أخي، تصدّق لتبقى في ظل صدقتك يو م القيامة ؛ لأن الشمس على رؤوس الخلائق.

٣ - أخي المسلم، سارع إلى الجنة بكل عملٍ صالح، فإنّ فيها الأنهار والعيون، وقد قال ﷺ في حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه : « **إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَحْرَ الْمَاءِ وَبَحْرَ الْعَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الْخَمْرِ ثُمَّ تُشَقَّقُ الْأَنْهَارُ بَعْدُ** » رواه أحمد والترمذي (صحيح).

٤ - أيها المسلم، احرص كل الحرص على إقامة الصلوات على الوجه المشروع، مع العناية التامة بها في (أركانها، شروطها، واجباتها، مسنوناتها) ومما يجب العناية به في الصلاة، الركوع والسجود، وقد قال ﷺ في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه : « **لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ** » رواه أحمد والنسائي وأبو داود وابن ماجة والترمذي (صحيح) .

أخي، تابع نفسك في الركوع والسجود، والخشوع في الصلاة، فما أكثر المصلين وما أقل الخاشعين ! والله الموفق .

٥ - أخي المسلم، احرص على أداء الصلاة جماعة (على الرجل)، واحرص على الصف الأول، وعلى تكبيرة الإحرام، وقد قال ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه : « **مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنْ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنْ النِّفَاقِ** » رواه الترمذي (حسن) . والله الموفق .

﴿ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴾

م	العنوان	رقم الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	تفسير سورة تبارك	٤
٣	تفسير سورة (ن)	٢٠
٤	تفسير سورة الحاقة	٣٧
٥	تفسير سورة المعارج	٥٢
٦	تفسير سورة نوح	٦٤
٧	تفسير سورة الجن	٧٥
٨	تفسير سورة المزمل	٨٧
٩	تفسير سورة المدثر	٩٧
١٠	تفسير سورة القيامة	١٠٨
١١	تفسير سورة الإنسان	١٢١
١٢	تفسير سورة المرسلات	١٣٤

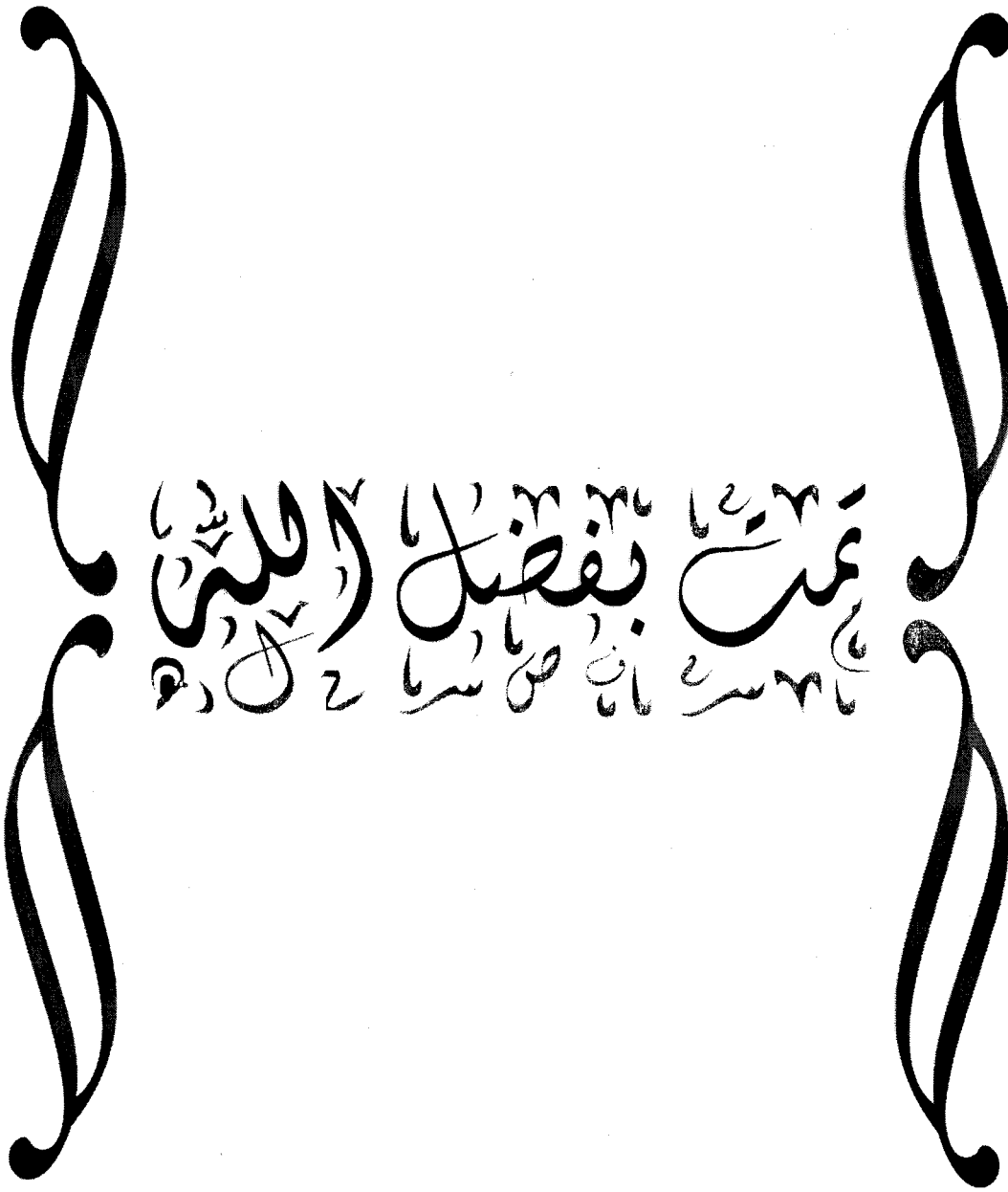
تمت بفضل الله